ذكريات غير متناثرة من النجف الأشرف

منصور الجمري

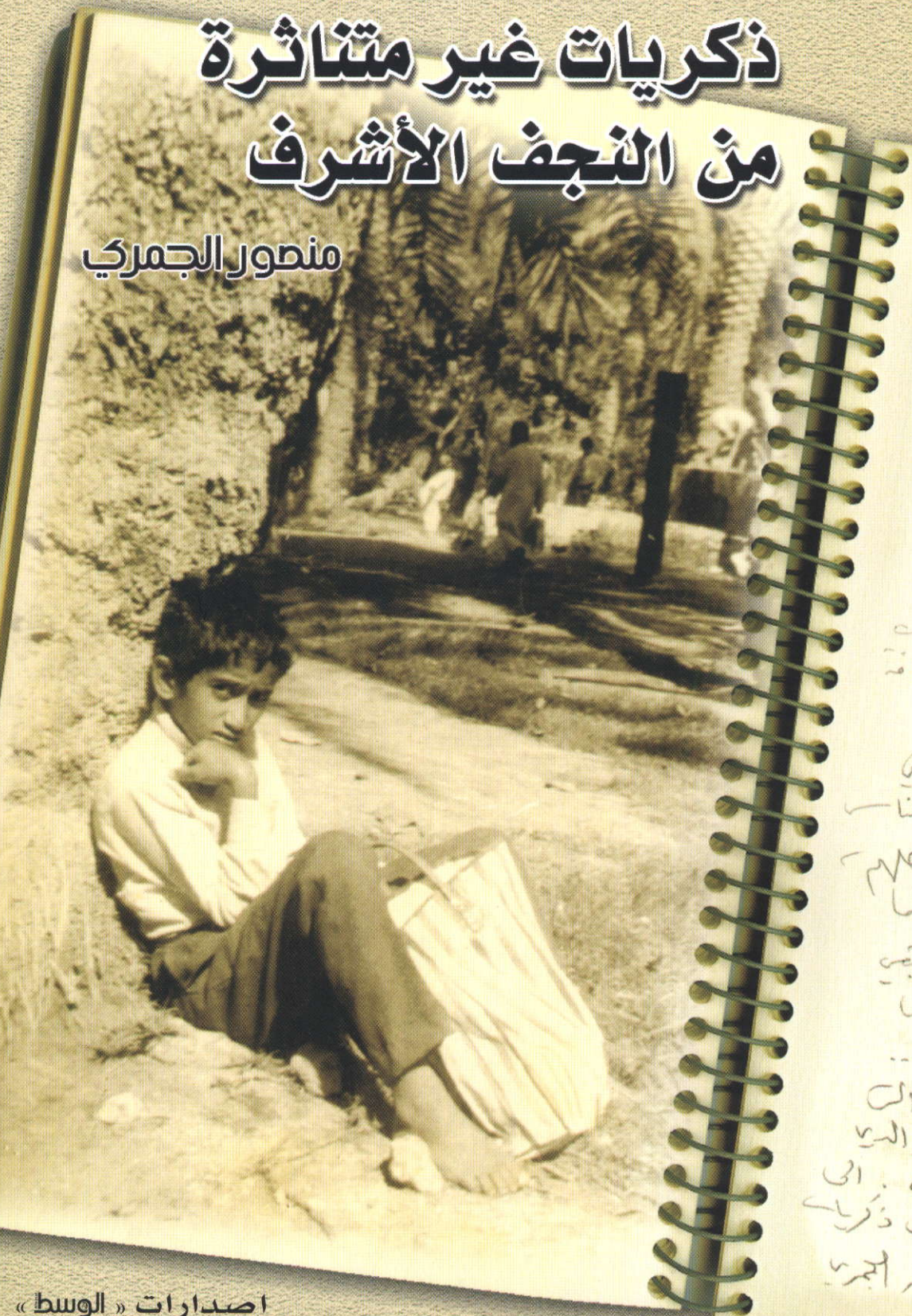

إصدارات « الوسط »
2007

ذكريات غير متناثرة من النجف الأشرف

منصـــور الجمـــري

المؤلف: منصور الجمري
الناشر: شركة دار الوسط للنشر والتوزيع، المنامة، مملكة البحرين
رقم الناشر الدولي: ISBN 978-99901-88-02-8
رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة: د. ع 6780 / 2007م
© الطبعة الأولى 2007

إهـــداء

يوم 18 ديسمبر 2006 كان من أبرد الأيام التي مرّت على البحرين... فالمطر والطقس القارس جداً، كان يشتد مع كل ساعة من ساعات ذلك اليوم القاسي جداً، ففي صباح ذلك اليوم توفى والدي الشيخ عبدالأمير الجمري بعد أن أصيب بعدة جلطات أقعدته في فراشه منذ منتصف 2002 حتى نهاية 2006.

جنازة التشييع - رغم البرد الشديد جداً - كانت أكبر جنازة شهدتها البحرين... ولولا البرد لما كان بالإمكان تفريق الحشود التي ملأت المسافة الممتدة على شارع البديع حتى مقبرة بني جمرة.

كنت في السيارة التي حملت نعش الوالد، وفي وسط ذلك اليوم الجلل رأيت حب الناس إلى والدي الذي خدمهم وضحى بكل ما لديه من أجلهم، فتناثرت الذكريات القديمة مع والدي عندما أخذنا إلى النجف الأشرف العام 1962 وبقي يدرس العلوم الدينية حتى العام 1973 عندما عاد ورشح نفسه إلى المجلس الوطني...

وهذه بعض تلك الذكريات المتناثرة التي تحركت مع حركة المركب الذي صاحب والدي حتى قبره في بني جمرة في 18 ديسمبر 2006.

إلى روح والدي، إلى من أحبه، أقدِّم شيئاً من ذكريات في أحضانه الدافئة.

منصور الجمري

ديسمبر 2007

المقدمة

أجمل السِّيَر تلك التي تكتب عن مرحلة الطفولة. فهذه المحطة مهمّة في تاريخ تطوُّر شخصية الإنسان وتُشكّل عادةً قاعدةً تأسيسيةً نظراً إلى كونها تكثّف مختلف المراحل اللاحقة التي سيبلُغها الطفل في حياته المقبلة.

الإنسان في محطة الطفولة يتّسم سلوكه بالحيوية والعشوائية وتسيطر على عالمه الخاص «دهشةٌ» تثير أسئلةً بشأن ما هو قائم. فكلُّ شيءٍ جديدٌ وعلى الطفل أن يتعامل مع الموجودات كما هي ومن دون وعي لكونه يتعرّف عليها للمرّة الأولى في حياته.

هذه العفويّة والبساطة والشقاوة التي تتميز بها حياة الطفل تتعرّض دائماً للتهذيب في كتابات السِّيَر. ويؤدّي هذا التدخّل عادةً إلى إعادة هيكلة الحوادث وترتيبها وتنظيمها ما يُفقد الطفولة دهشتها وعفويتها طمعاً في تغليف تلك المحطة بغطاء عقلانية مفتعلة تتقصّد إظهار الطفل في موقع مضادّ للشقاوة وبأنه كان على ما هو عليه الآن منذ نعومته.

هذا النوع من كتابة «السِّيَر» تَجنَّبَ منصور الجمري الوقوع فيه. فهو لم يتدخّل في إعادة صوغ طفولته لتظهر شخصيته الحالية وكأنها كانت موجودةً منذ ولادته. فهو أعطى طفولته حقّها ولم يلجأ إلى صنعة التهذيب والتدخُّل حتى لا تَفقد عفويّتها وتخرج عن سياقها وصدقيّتها. فالطفل يكبُر، ونموُّه المتدرِّج في بيئة أحاطت بها خصوصيةٌ ثقافيةٌ سواء على مستوى التربية الأسَريّة (البيت، الأب، الأم والشقيق الأكبر) أو على مستوى المحيط (مدينة النجف وما تمثّله من موقعٍ دينيٍّ وعلاقاتٍ اجتماعيةٍ متغيّرة) لا يعني أنَّ الطفل لم يدخُل تلك المحطة الأولى.

عدم التدخّل أعطى نكهةً خاصةً لتلك المذكّرات التي كتبها منصور الابن الثاني للشيخ الراحل عبدالأمير الجمري. فالمذكّرات عفويّة وتعكس قلق طفولة أحاطت بها مجموعة اعتبارات فرضتها بيئة النجف وذاك الموقع الخاص الذي احتلّه الشيخ في دراساته وعلاقاته. ونموّ طفلٍ في هذه الفضاءات لا يعفيه من عيش حياة شقاوةٍ يمرُّ بها الإنسان في مرحلة لا بُدّ منها تتأسّس عليها المحطات الأخرى.

الطفولة طفولة، وهي في لحظتها الزمنية تشكّل تلك المرآة العفوية التي تعكس الأشياء كما هي وكما يراها الطفل في بدايات تعاطيه مع حالات يكتشفها للمرة الأولى في حياته. منصور المراهق الذي عركته الحياة، أو منصور الشاب الذي دخل معترك السياسة، أو منصور الدكتور بعد أن غادر البحرين إلى بريطانيا ودرس في جامعاتها، ومنصور الرجل المعارض الذي انخرط في تيّارات

أيديولوجية، ومنصور العائد من منفاه، ومنصور رئيس تحرير صحيفة يومية... كلها محطات لاحقة على الطفولة، ولهذا لم يجد ضرورة لاستخدامها أدوات هدم لتلك البراءة العفوية بقصد إعادة تصنيع الحوادث في إطار غير واقعي يفتقد الصدق في التعامل مع الأشياء كما جرت في أيامها وأوقاتها.

الاحتفاظ بالوقائع كما سجّلتها الذاكرة من دون تعديل أو تدوير أو تهذيب أعطى «المذكّرات» حيوية خاصة تعكس حياة طفولة تتّسم عادةً بالبراءة والشقاوة والدهشة ومراقبة التحوّلات بعقل يلاحظ وينتبه ولكنه في الآن لم يبلغ بعد مرحلة الإدراك والتحليل والفهم.

ترك رئيس تحرير «الوسط» الدكتور منصور الجمري لطفولته أن تأخذ مجالها الزمني وأعطى تلك المحطة خصوصيتها حتى لا تفقد الفترة طبيعتها البكر التي يمرّ بها كلُّ إنسانٍ لينتقل بعدها إلى خطوات أخرى تعيد ترتيب شخصيته.

الطفولة هي البدء والأصعب في التسجيل؛ لأنها عشوائية وهي غير مبرمجة ومخطّطة تجمع الحلم وما حفظته الذاكرة من صور وبين واقع آخر تكتنزه شخصية الإنسان حين تمرُّ لاحقاً في سلسلة من التجارب الحلوة والمرّة. وهنا بالضبط تكمن قوة «ذكريات النجف» حين حاولت استعادة صورٍ من ذاكرة طفلٍ راقب ببراءة مشاهدَ أخذت تطرأ عليها تحوُّلات كان لها أثرها اللاحق في صنع شخصية العراق المضادّة لما كانت عليه في زمنٍ سابق.

وليد نويهض
البحرين
2007

(١)

ارتبطت أماكن سكنت فيها سنوات كثيرة من عمري بشخصيتي وأثرت عليّ كثيراً... فمنذ أن كنت صغيراً أخذني والدي (المرحوم الشيخ عبدالامير الجمري) مع والدتي وأخي الأكبر محمد جميل الذي يكبرني بعامين إلى النجف الأشرف في العراق بعد أن قرر مواصلة علومه الدينية هناك، وذلك في العام ١٩٦٢. كان عمري حينها عدة أشهر (ولدت في ١٧ ديسمبر ١٩٦١) وعندما فتحت عيني وبدأت أدرك ما حولي كانت والدتي قد أنجبت أختي عفاف التي تصغرني بسنتين... وعندما استقر الوالد في النجف نزل في منزل متواضع، ومن ثم انتقل الى آخر في منطقة الحويش.

النجف مدينة الإمام علي (ع) صعبة جداً في جوانب عدة... فهي مركز للعلوم الدينية ولمراجع الدين منذ ألف عام وكثير من منشآتها تحمل أسماء ترتبط «بالهنود»، مثل الجامع الهندي والقناة الهندية، الخ، وذلك لأن الهنود الشيعة الذين كانوا يحكمون إحدى الولايات الهندية (ولاية عوض في شمال الهند) حتى القرن التاسع عشر الميلادي كانوا يدفعون الأموال الطائلة للمراجع ولمد قنوات المياه وتعمير المساجد وتوفير الخدمات في النجف الأشرف وفي كربلاء المقدسة أيضاً.

بيوت النجف تحتوي على «سرداب» والسرداب يحتوي على حفيرة (بئر ماء) مرتبطة تاريخياً بالقنوات التي كانت تمد المدينة بالماء. والسرداب عادة مظلم، بل إنه مخيف لارتباط كثير من حكايات وأساطير «الجن» بالبئر الموجودة في السرداب. ولذلك فإنه مقفل إلا إذا قرر الوالد استخدامه في الصيف (لأنه بارد) لاستقبال الضيوف، أو لتبريد بعض المأكولات، مثل البطيخ الأحمر.

إقفال السرداب قد يخلصك من «الجن» ولكن عليك ان تقفل الباب الرئيسي بثلاثة أنواع من الأقفال وإلا فإنك قد تُسرق في وضح النهار. كما ان عليك الامتناع عن الخروج من المنزل ما بين الساعة الثانية عشرة ظهراً حتى الثانية بعد الظهر وثم بعد العاشرة مساءً. في الظهيرة ينتشر بعض أصحاب السوء للسلب وغير السلب وفي الليل (بعد العاشرة مساءً) تبدأ الكلاب الضالة، حجم بعضها كبير جداً وأصواتها مزعجة، بغزو طرق المدينة ومعها أصحاب السوء أيضاً.

في الأوقات «الآمنة» الأخرى عليك الاحتراز فيما لو مر عليك شباب من أبناء إحدى العشائر النجفية... شباب العشائر يمشون جماعات جماعات ولهم الطريق والاولوية. وذات مرة كنا نلعب أمام منزل الشيخ علي الجزائري، وهو عالم دين فاضل كان يدرس لديه الوالد أصول الفقه، وبينما كنت ألعب مع ابنهم عصام لعبة «الدعبل» او ما يسميها أهل البحرين بـ «التيلة» مر علينا شخص واحد عرفنا لاحقاً انه من أبناء إحدى العشائر الكبيرة. هذا الشخص لم يتعطل عندما مر بنا اذ قام بجمع «الدعبل» التي كنا نلعب بها ووضعها في جيبه. غير ان احد ابناء الشيخ الجزائري (وكان يكبرنا سناً) كان موجوداً بالقرب منا فتدخل وأمسك بذلك الشخص وأمره بإرجاع «الدعبل» حالاً. فما كان من ذلك الشخص الا ان قال «هل تعلم انني من آل بو...؟». فرد عليه ابن الشيخ الجزائري «قز القط»، وهي الأقرب لما يقوله أهل البحرين «طز»... الشخص الذي سلبنا أرجع «الدعبل» إلينا، إلا انه قال إنه سيعود في يوم الغد مع شباب عشيرته لكي يلقننا درساً لن ننساه.

أبناء الشيخ الجزائري توجهوا لشباب الجيران في الحي الذي نعيش فيه (عقد أبو الحسن الواقع في حي الحويش) وأخبروهم بأن «آل بو...»

سيهجمون علينا يوم غد وعلينا الاستعداد. الجيران كانوا من العراقيين، وبعضهم كان من أصل إيراني، ولكنهم شعروا بالخطر يدهمهم فبدأوا الاستعداد عبر جمع الاخشاب ووسائل الدفاع الأخرى عند اشتباك الأيدي.

في اليوم الثاني عصراً، هجم شباب العشيرة النجفية المذكورة وبدأ العراك والضرب والشتم وما يشبه تكسير الابواب. غير ان شباب الحي تصدوا بجدارة لشباب العشيرة التي كان يهابها الجميع. ولذلك قام شباب العشيرة بتحويل هجومهم؛ إذ صادف مرور شاب إيراني (ليس من الحي) وكان المسكين لا يدري ماذا يدور، فانهالوا عليه بالضرب المبرح ولم يتركوه الا بعد أن شارف على الموت... وبعد ذلك نادوا شباب الحي وصالحوهم قائلين ان «المشكلة هي مع العجم فقط».

كانت تلك السنوات العجاف هي بداية وصول حزب البعث للسلطة (بعد العام ١٩٦٨)، وكان الحزب ينشر الشعارات المعادية للإيرانيين في المدارس وفي كل مكان. بل ان المدرسين المنتمين لحزب البعث كانوا يقولون لنا أثناء التدريس «تستطيعون ضرب أي شخص عجمي (يعني إيراني الأصل) ولا يستطيع ان يفعل شيئاً، واذا ذهب إلى الشرطة فإنه سيحصل على مزيد من الضرب».

عندما وصل حزب البعث إلى الحكم في العام ١٩٦٨ بدأت الحياة تتغير كثيراً. فبالنسبة إلينا كطلاب في الابتدائية شاهدنا كثيراً من الأمور. في البداية كانت الكتب تتغير، وبدلاً من سورة الحمد او آية البسملة على الصفحات الأولى من الكتاب وجدنا بعض الكلمات المنسوبة لـ «القائد أحمد حسن البكر».

الشيخ عبدالأمير الجمري مع أبنائه في ستينات القرن الماضي ويبدو منصور إلى أقصى اليمين

المدرسون البعثيون يمشون بزهو ويستطيعون تغيير الدرس من أية مادة إلى موضوع عن حزب البعث العربي الاشتراكي وعن شعاراته «وحدة وحرية واشتراكية»، «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة»... إلخ. لا يجرؤ أي شخص على الاعتراض لأن المدرسة ليست فقط مدرسة. فكل مدرس وكل «فرّاش» يحمل بيده «خيزران» وكل واحد منهم (حتى الفراش / حارس المدرسة) يستطيع إيقاف أي تلميذ وضربه بصورة مبرحة جداً ولا يوجد احد ينقذه. بل إن المدرس يستطيع ان يستعمل «الفلقة» مع التلاميذ. ولاستخدام «الفلقة» يأمر المدرس التلميذ بنزع حذائه ثم يأمر اثنين من الاشخاص بوضع «الفلقة» بين رجليه ويتم رفع الرجلين إلى أعلى وعندما ينكشف أسفل القدمين ينهال المدرس على التلميذ بالخيزران بصورة شرسة بحيث لا يستطيع التلميذ المشي بعد ذلك.

قلائل هم الذين لم يحصلوا على ضرب «الفلقة»، أما الخيزران فلا يوجد أحد لم يحصل عليه. لأن المدرس يضرب لأتفه الأسباب. ومن القلائل الذين لم يتعرضوا لضرب «الفلقة» هم التلاميذ البحرينيون، أو ما يسميهم العراقيون «البحارنة».

«البحارنة» في مدرستي آنذاك (مدرسة الطالبية) كانوا أنا وأخي الأكبر (وفي آخر سنة لي في النجف كنت في الصف الخامس وكان قد دخل الصف الأول اخي صادق الذي يصغرني بأربع سنوات) وأبناء السيدجواد الوداعي وأبناء السيدشرف الخابوري (والذين كانوا يعتبرونهم من «البحارنة» على رغم أنهم عمانيون) وفي إحدى السنوات كان معنا أيضاً سامي ابن الشيخ عيسى أحمد قاسم قبل أن ينتقل إلى مدرسة أخرى، وعدد آخر من أبناء طلبة العلوم الدينية.

هؤلاء «البحارنة» كانوا أهدأ التلاميذ ويحاولون الابتعاد عن المشكلات ما استطاعوا ذلك. وكانوا هم أيضاً الذين يلتزمون بالفرائض الدينية أكثر من غيرهم، ويبدو ذلك واضحاً في شهر رمضان. ففي هذا الشهر المبارك يصوم التلاميذ البحارنة (الصغار الذين لا يستطيعون الصيام يقللون من أكلهم)، كما ويصوم معهم مدير المدرسة ونائب المدير وعدد قليل من المدرسين وربما بعض التلاميذ. أحد المعلمين كان عالم دين يلبس العمامة الدينية (ويطلق عليهم العراقيون موامنة، ومفرد ذلك مومن، وهو مصطلح يستخدم للتحقير عادة)، ومدرس آخر كان يصوم اسمه الأستاذ فاضل (مدرس الصف الثاني) عرفت بعد سنوات عدة انه من التيار الإسلامي الذين نحر أكثرهم نظام حزب البعث في الثمانينات. فيما عدا ذلك، فإن شهر رمضان (في ظل حزب البعث العربي الاشتراكي) لم يكن له أي معنى في مدرسة ابتدائية في مدينة الإمام علي (ع)، فالأكثرية تأكل وتشرب وتدخن. عندما يدخل المدرس إلى الصف فإن رائحة دخان السجائر تفوح في كل مكان.

طابور المدرسة أقرب إلى طابور عسكري، وفي أحد الأيام وصلنا المدرسة وإذا بها مملوءة بالملصقات والشعارات التي تمجِّد «حزب البعث» وتتحدث عن أمور عدة لم نكن نفهم كثيراً منها. فبالإضافة إلى شعار «نفط العرب للعرب» كانت هناك مقتطفات لـ «الأخ القائد أحمد حسن البكر» الذي كان رئيساً للجمهورية قبل أن يُطيح به صدام حسين في العام ١٩٧٩. وفوجئنا في صباح ذلك اليوم بوقوف نائب المدير الذي كان شخصاً محترماً ومتديِّناً (ومن أصول إيرانية على ما أعتقد) يخطب فينا عن الأعمال العظيمة التي قام بها حزب البعث لخدمة العراقيين. وبدأ يعدّد إنجازات الحزب في مدينة «دهوك» شمال العراق وفي بغداد وكيف أقام الطرق وسهل الأمور... وبعد ذلك طلب

منّا أن نخرج في مظاهرة تأييدية لحزب العبث. كان ذلك كما أعتقد في العام ١٩٧٠ أو ١٩٧١.

دخلنا الصفوف وكثير منا خائفون وكان يجلس بجانبي السيدعلي بن السيدشرف الخابوري وبعد عدة طاولات كان هناك السيدمحسن بن السيدجواد الوداعي، وبدأت أنظر اليهما وما الذي سيفعلان. التفت إلى السيدعلي وقلت له «لقد حذرني والدي من البعثيين والبعثي لايؤمن بالدين، مثل الكافر، ماذا نعمل؟». بعد عدة مداولات قررنا أن «نتظاهر» بالهتاف من خلال تحريك الشفاه ولكن من دون النطق بالشعارات لأننا إذا لم نشارك فإن مصيراً أسود ربما ينتظرنا.

جاء المدرسون وأخرجونا من الصفوف بعد أن هتفوا عدة شعارات مثل «وحدة وحرية واشتراكية، أحمد قائدنا واحنا بعثية»، «أمة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة» إلخ... المقصود بأحمد هو أحمد حسن البكر الذي حكم ما بين ١٩٦٨ و١٩٧٩. خرجنا ونحن خائفون وبدأنا نحرك الشفاه من دون أن ننطق بأي من تلك الشعارات الصاخبة. أمرنا المعلمون بالذهاب إلى المدارس الأخرى وإخراج تلاميذها. وفعلاً كان يقودنا بعض المعلمين البعثيين لاسيما معلم الرياضة وكنا ندخل المدارس ونخرج التلاميذ. وعندما نمر أمام مركز شرطة يزداد الحماس في الشعارات، ويقوم الشرطة برفع قبضات أيديهم مؤيدين لما نقول. ثم وصلنا إلى مدرسة رفض مديرها أن يخرج التلاميذ فما كان من تلاميذ مدرستنا إلا انهالوا بالحجارة على المدرسة محاولين كسر بوابتها. وأثناء القذف بالحجارة توقّفت شعارات البعث وبدأت شعارات سوقية تشتم من بداخل تلك المدرسة. وأخف شعار يمكن كتابته كان «أبو عقال لا تنقهر ترى الأفندي قندرة». و«أبو عقال» هو الإنسان العادي الذي

يلبس عقالاً خارج المدرسة والأفندي هم المدرسون والتلاميذ الذين يمنعون من لباس «العقال»، و«القندرة» تعني «الحذاء». ومعنى الشعار ان المدرِّس الذي منع تلاميذه عن الخروج إنما هو «قندرة» (حذاء).

بعد ان أشبعوا تلك المدرسة رمياً بالحجارة توجهوا إلى مدرسة إيرانية بالقرب منها وانهالوا عليها بالحجارة والشتائم الشخصية والعنصرية التي كان يطلقها افراد حزب البعث (من المدرسين) الذين قادوا المظاهرة. ومن تلك الشعارات «العرب فوق المنارة والعجم جُوّى الطهارة»، و«الطهارة» هي المرحاض.

كنا اثناء القذف بالحجارة ننزوي بعيداً لكيلا نتورط في إيذاء أناس آخرين نتفق أساسا معهم في عدم الخروج. كنا صغار السن والحوادث كانت أكبر منا بكثير ولا نعلم شيئاً عن خلفياتها الهوجاء، فما عسى من كان عمره ٩ أو ١٠ أعوام أن يفهم كل الأمور التي تدور حوله؟

مظاهرة أخرى خرجنا فيها - مرغمين - كانت ضد حزب البعث، والحزب الشيوعي هو الذي أخرجها، حملت أحد شعاراته آنذاك «الوحدة الوحدة ياطلاب»... كنا قد انتقلنا لفترة وجيزة إلى مبنى مؤقت للمدرسة لإجراء بعض الإصلاحات في المدرسة الأصلية، وعند خروجنا من الدوام في أحد الأيام الممطرة بدأ عدد من الطلاب الذين كانوا قد اتفقوا على إخراج التظاهرة بالضرب على الكتب والتصفيق والهتاف «الوحدة الوحدة ياطلاب»... الشعار كان جميلا، وسرعان ما اشترك الأكثرية في الهتاف، وتفرقت المظاهرة بسرعة... غير أن طابور اليوم التالي كان تحقيقا من المدرسين البعثيين بحثاً عن الذين حرّضوا عليها، وبالطبع فقد لقي عدد من الطلاب نصيبهم من الضرب المبرح.

مظاهرة أخرى شاهدتها، من دون المشاركة فيها، كانت إما بمناسبة عيد الجيش أو عيد العمال (لا أتذكر)، وكان كل الموظفين والعمال قد تركوا عملهم (ربما خوفا من العقاب أو طمعا في المشي والصراخ) واشتركوا في تلك المظاهرة... أثناء انعقاد تلك المسيرة، كان المتظاهرون يضربون شخصاً رفض الانضمام إليهم، وكانت وسيلة الضرب مؤلمة، فكل شخص يقوم بضربه بقوة خلف رقبته، ويدفعه إلى الأمام (أضرب وأشمر)، ويصرخ «خائن» ويأمر الآخرين بأنه يتوجب عليهم ضربه إلى أن يصل إلى مقدمة المظاهرة، وهناك يتم تسليمه إلى الشرطة... لم أستطع الاستمرار في متابعة ما جرى لذلك الرجل المسكين، فالمظاهرة طويلة جداً، واحتمال إما انه أغمي عليه قبل أن يسلم إلى الشرطة، وربما حدث له أمر أسوأ من ذلك.

مدرستنا (الطالبية الابتدائية للبنين) كانت مكتظة جداً في الصباح وفي العصر (الدوام كان أحياناً في الصبح وأحيانا بعد الظهر)، وفي المساء تتحول إلى مدرسة أخرى باسم آخر.

فراش (حارس) المدرسة كان لقبه «عمي حسين»، وشخصيته قوية جداً وتنافس المدير، إذ كان يعتقد أن من حقه أن يأمر ويضرب التلاميذ سواء كانوا داخل المدرسة أو خارجها. أما نحن فكنا نغتنم بعض الفرص (خارج الدوام) لإثارته عبر إطلاق بعض العبارات والهرب قبل أن يرى وجوهنا ويتعرف علينا، ومن تلك العبارات «عمي حسين، اقعد زين، بيع الطماطة بفلسين». ولقد كنا نشتري المأكولات حينها بفلس أو فلسين أو عدة فلوس... وكانت عشرة الفلوس العراقية آنذاك شيئاً كبيراً إذ إنها كانت تعطيك وجبة كاملة.

التحريض البعثي ضد «العجم» لم يكن له حدود، فكل عراقي من أصل إيراني (عجمي) خائن يجب طرده من العراق، وكل عراقي من أصل عربي

ويعارض نظام البعث يلصقون به تهمة العمالة لتركيا آنذاك، وعلى العراقيين انذاك ان يختاروا بين أن يكونوا بعثيين، أو عملاء لإيران أو عملاء لتركيا.

تهمة العمالة لتركيا ألصقت برموز عشائرية ودينية كبيرة. وعلى أساس ذلك تم اعتقال وإعدام ومطاردة عدد غير قليل من العراقيين عند وصول حزب البعث إلى الحكم في ١٩٦٨. ومن الذين أصابهم البعث بتهمة العمالة لتركيا كان الشهيد السيدمهدي بن الإمام محسن الحكيم الذي كان يعتبر الذراع اليمنى لوالده. وعندما وُجهت له تهمة العمالة لتركيا هرب من العراق إلى البحرين ثم الإمارات، وبعد ذلك إلى باكستان ثم إلى لندن وتم اغتياله في الخرطوم في نهاية الثمانينات من القرن الماضي بعد قرابة عشرين عاماً من المطاردة البعثية.

(2)

عندما توفي الإمام محسن الحكيم (أعتقد أن ذلك كان في العام ١٩٧٠) خرجت مظاهرات كبرى في النجف الأشرف تندِّد بحزب البعث الذي قطع الماء والكهرباء عن الحكيم وطارد ابنه السيدمهدي. وكنت مع أخي الأكبر محمدجميل والسيدعلي بن السيدجواد الوداعي في حضرة الإمام علي (ع) نشاهد واحدة من أكبر المظاهرات المعادية للنظام البعثي. وكان من الشعارات التي رفعها المتظاهرون آنذاك «سيدمهدي مو جاسوس، هذي اشاعة كاذبة». حينها التفتُ إلى محمدجميل وسألته «من الذي قال إن سيدمهدي جاسوس؟»... محمد جميل نظر إليَّ وقال «شوش... بعدين»... بعد ذلك قال لي: «كيف ترفع صوتك والشرطة كانت بجانبنا، إنهم هم الذين يقولون إن سيدمهدي جاسوس».

والدي (الشيخ عبدالأمير الجمري) كان مشاركاً في مراسم تشييع الإمام الحكيم وألقى كلمة باسم طلاب علوم الدين البحارنة تهجّم فيها على حكم حزب البعث، ومنذ تلك الحادثة الدينية أصبح اسمه في القائمة السوداء لدى المخابرات العراقية. لكنه نجا منهم حتى رجوعه إلى البحرين في ١٩٧٣ ولم يكتشفوا أن الشخص الذي يبحثون عنه (عبدالأمير الجمري) كان مسجلاً لديهم باسم «عبدالله منصور محمد». فالوالد كان قد غير اسمه أثناء وجوده في العراق وهو كان يسافر من وإلى العراق سنوياً عبر البر ويمر بالكويت والسعودية قبل أن يصل إلى البحرين أو العراق، وكان اسمه (عبدالله) يحميه من بعض مسئولي الجمارك عند عبوره الحدود لأن أسماء «عبد» تختص بالله بحسب أحد التفاسير الدينية المتبعة في الجزيرة العربية. وقد أعاد اسمه الأصلي عندما استقرّ في البحرين لاحقاً.

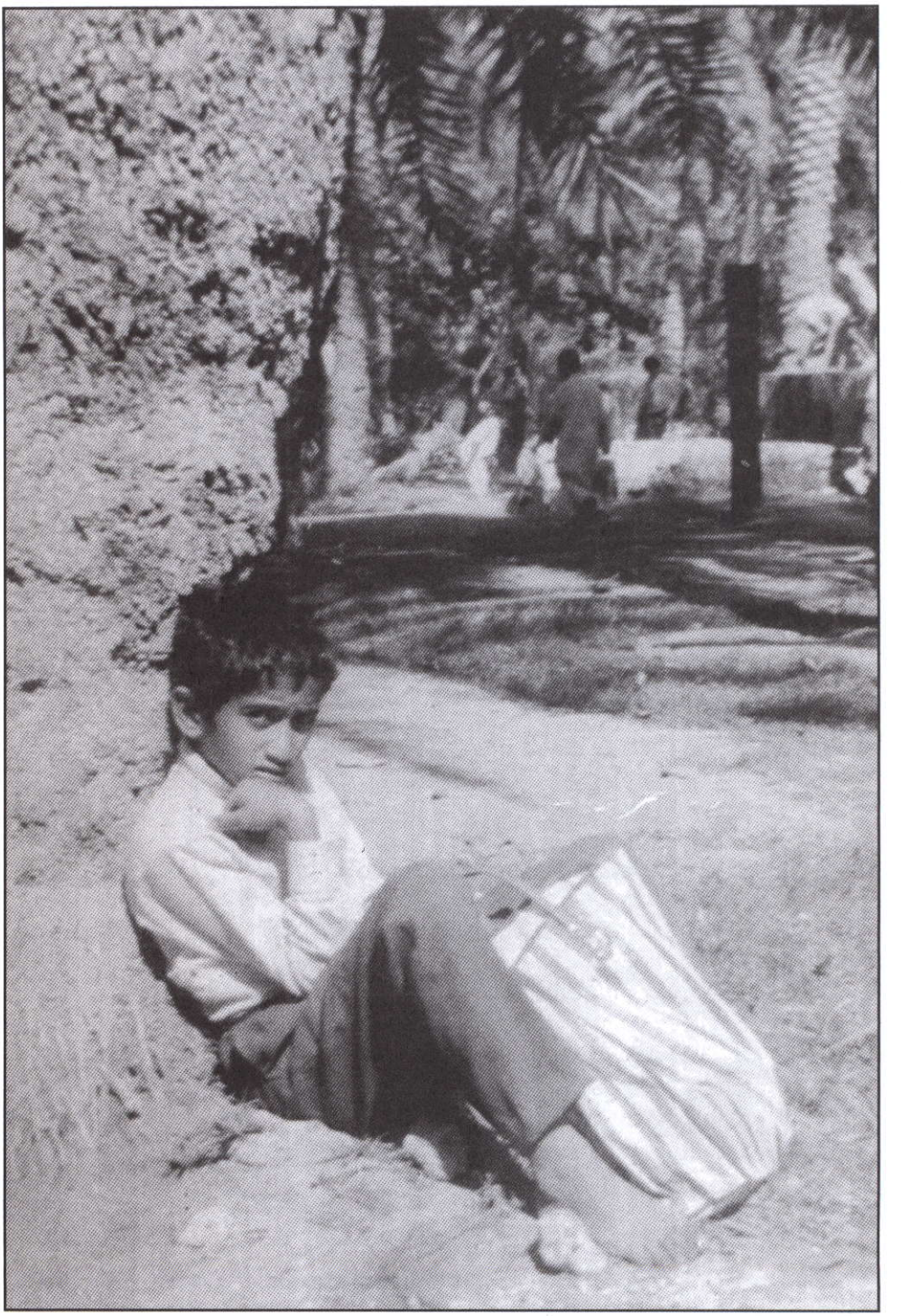

منصور الجمري العام 1973 بعد عودته مباشرة من النجف الأشرف

وكان لهذا التغيير في الاسم نجاة من قبضة البعثيين الذين لم يكونوا سيرحموا أي شخص يتجرأ عليهم مهما كانت المناسبة والحدث الذي دعا إلى ذلك.

النجف الأشرف كانت مزدحمة بالعراقيين والإيرانيين والأفغانيين والخليجيين وحتى الصينيين (من التيبت) وغيرهم الذين كانوا يفدون إلى مدينة الإمام علي (ع) إما للدراسة او للزيارة. وأسواقها لها أجواء خاصة وتحتوي على كل ما يحتاجه الدارس أو الزائر أو المقيم. وأجمل ما تشاهده في النجف السوق المخصصة لبيع الكتب والتي تتفرع من سوق «الحويش» والسوق الكبير وسوق العمارة.

وكنا نعيش بالقرب من سوقي الحويش والعمارة، ولكن ذهابنا إلى سوق العمارة أكثر لأن منزل السيدشرف الخابوري ومنزل الشيخ عيسى أحمد قاسم كانا هناك، وكنا نتردد عليهما. منزل السيدشرف كان قريبا من منزل الإمام محسن الحكيم وقريباً من حضرة الإمام علي (ع) وكان أكثر ما أستمتع به مشاهدة صلاة الجماعة في «الحضرة» للإمام الحكيم. فعدد المصلين بالآلاف التي ينقطع النظر عندما يحاول متابعة الصفوف وعدد «العمائم» التي تركع وتسجد. وكنت أقول لوالدي «لو أراد واحد أن يصل إلى القمر فما عليه إلا أن يجمع العمائم على بعضها ويركب عليها ليصل إلى السماء والقمر». تلك الجملة البريئة كانت تعبر عن العدد الكبير الذي يصلّي خلف الحكيم. وكان العدد الكبير من المصلين يحتاج إلى إدارة أثناء الصلاة، وكان هناك شخص أو أكثر يصرخ بأعلى الصوت بكلمات محددة (مثل: ركوع، سجود، سمع الله لمن حمده...) منوهاً ببدء كل ركعة وكل سجدة وكل فعل من أفعال الصلاة، لأن الصفوف الخلفية لا ترى الإمام. وأروع من ذلك هي

الرحلة القصيرة من ناحية المسافة والطويلة زمنياً التي يقطعها الحكيم من منزله إلى حضرة الإمام علي (ع) وبالعكس. فالرحلة تستغرق طويلاً للعدد الكبير الذي يمشي خلفه وكان بعض الناس يوقفون الموكب لتقبيل يد الإمام الحكيم. وكان هناك عدد من الذين يسيرون في الموكب يحاولون إبعاد الناس (ولاسيما الاطفال أمثالنا) من الوقوف في الطريق أو محاولة إيقاف الموكب لتقبيل يد الحكيم وكانوا يؤشرون بأيديهم ويهمسون «وخّر، وخّر»، بمعنى «ابتعد، ابتعد».

بعد وفاة الإمام الحكيم تسلّم ابنه السيديوسف إمامة الجماعة، وعندها تجرأتُ مرة واحدة وأوقفت الموكب لأقبل يده وسط غضب شديد من عدد من الذين كانوا يمشون خلفه.

أكبر مأساة شاهدتها في النجف كان «تسفير» العراقيين من أصل إيراني. فعندما وصل حزب البعث إلى الحكم أعلن الكراهية لكل شخص لديه صلة بالإيرانيين حتى لو كان من الجيل الثالث أو الرابع ممن عاشوا في العراق عشرات وربما مئات السنين. وكانت أول حملة تسفير في مطلع السبعينات (لا أتذكر متى، ولكن ربما العام ١٩٧١).

الشرطة العراقية كانت تهجم على المنازل وتسحب من فيها إلى الخارج وترميهم في شاحنات وسيارات من دون ان تسمح لهم بأخذ شيء وترميهم على الحدود العراقية - الإيرانية. كان الطقس بارداً جداً، وبرد النجف شرس جداً؛ لأنه لا يرحم حتى لو لبست كل ما لديك من ثياب، وشاهدت بأم عيني رجالاً ونساء كبارا في السن رمتهم الشرطة العراقية في عربات خشبية وهم من دون لباس يقيهم سوى ثياب منزلية خفيفة.

عراقيون آخرون (من أصل إيراني) تمَّ اختطافهم من دكاكينهم وبقيت محلاتهم مفتوحة بينما هم يُسفَّرون إلى الحدود. الوضع سيئ جداً ولا يمكن تصوره أو احتماله وكان والدي يهمس مع طلاب العلوم الدينية البحرينيين عن الوضع وهم في رعب من هذه السياسة الهوجاء.

ولكن ما كان يرعبني أكثر هو تصرف بعض العراقيين العاديين الذين استغلوا تهجير إخوانهم (الذين يحملون جوازات سفر عراقية مثلهم) وبدأوا يسلبونهم، مضيفين إلى الألم السلطوي ألم الجهل الذي دفعهم لإيذاء غيرهم من دون أي رادع إنساني ذاتي.

وذات يوم كنا داخل المنزل وقد أغلقنا باب الغرفة وكان الجو قارساً، وكنت ألعب مع اخواني ووالدتي تحاول تهدئتنا ولكن من دون جدوى. غير اننا فوجئنا بصوت امرأة على باب الغرفة وهي تهتف «يا أهل الحوش» (يعني يا أهل البيت)...

خرجنا جميعاً وإذا بها في وسط المنزل ونحن نسأل كيف تمكنت من الدخول وخصوصاً نحن نقفل الباب بثلاثة أنواع من القفول. ولكن يبدو أن الوالدة دخلت المنزل خلفنا ونسيت المفتاح في الباب من الجهة الخارجية وهذه من النوادر القليلة التي تنسى فيها المفتاح. فأخذت المرأة العراقية المفتاح (بعد أن فتحت الباب) ووضعته ما بين صدرها.

وهكذا هرعنا ونحن نسمعها تهتف «يا أهل الحوش»... سألناها ماذا تريد؟ ولكنها سألتنا «أنتم عرب لو عجم؟» فهتفنا جميعاً: «نحن عرب من البحرين»... وهنا قالت «لبّالي» (بمعنى... أعتقدت شيئاً آخر)... ومدت يدها داخل صدرها وأخرجت المفتاح وسلمتنا إياه، وخرجت...

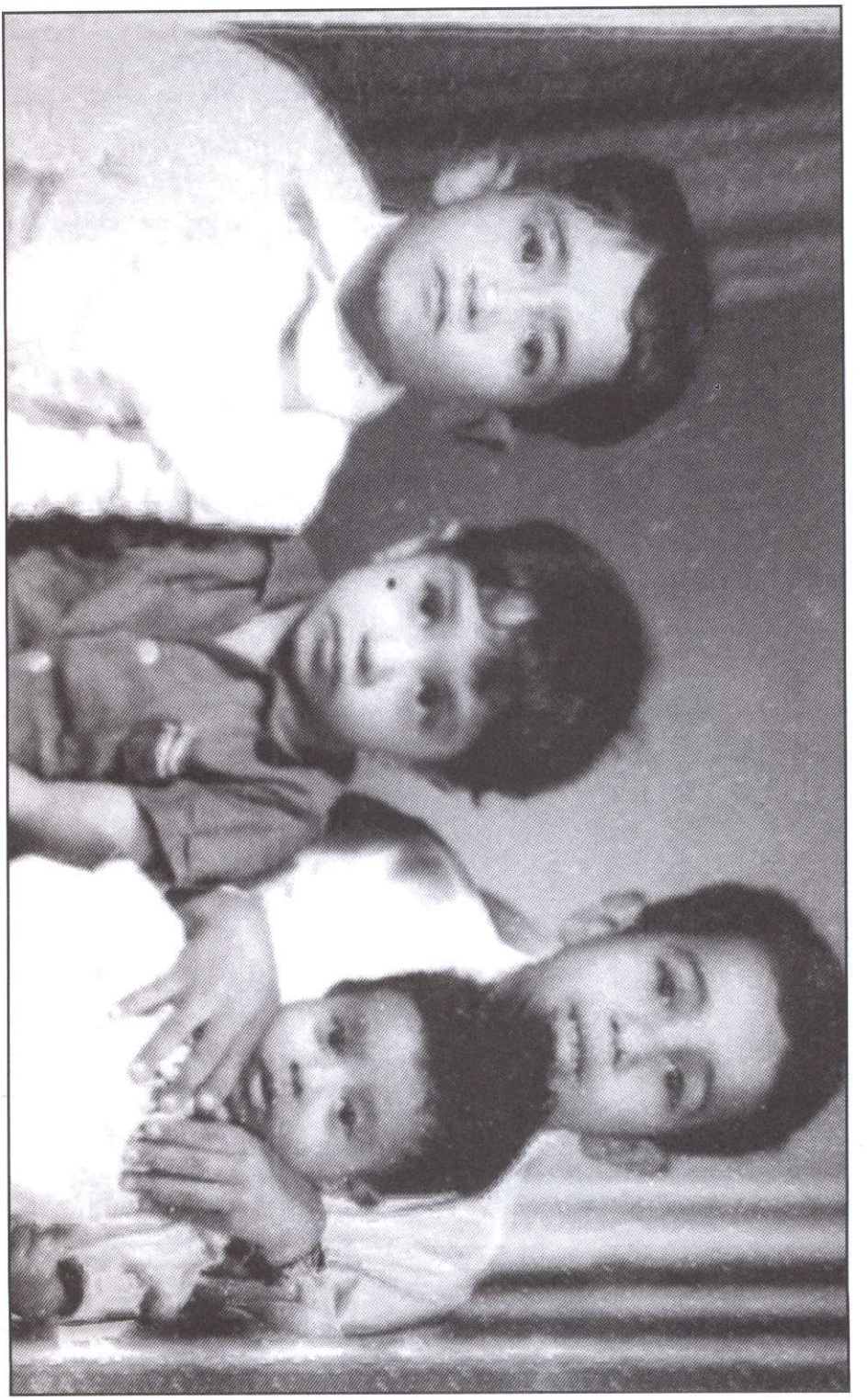

منصور إلى أقصى اليسار في النجف الأشرف العام 1969

الوالدة كانت خائفة جداً، لأن تسفير الإيرانيين كان يعني لبعض الأشخاص احتلال المنزل وسلب ما فيه، وكانت المرأة تتفحص الأمر وفيما لو كنا عراقيين من أصل إيراني (وسيتم تسفيرنا) كانت ستأتي بأشخاص آخرين معها لسلبنا واحتلال منزلنا... هكذا بكل شراسة كانت تجري الأمور تحت حكم حزب البعث العربي الاشتراكي.

منزلنا في آخر سوق الحويش وأول سوق العمارة، في طريق (عقد) السيد بوالحسن، وكان من جيراننا الكثير ممن تعرضوا للأذى بعد قيام حزب البعث بتهجير العراقيين من أصل إيراني. كان أحد الشباب اسمه حسن كلستن، اختفى مع عائلته في ظروف قاسية، ومن جيراننا منزل لأحد علماء الدين الإيرانيين نعرفه باسم الخلخالي (ليست له علاقة قرابة بالشيخ الخلخالي الذي اشتهر اسمه لاحقاً في إيران)، وكان لنا جار لديه دكان «عطار» اسمه جبار تبينه، وابناه حافظ وستار، وذات مرة مر عليه البعثيون في دكانه في سوق الحويش وسحبوه إلى المخفر لتهجيره مع عائلته. وبعد بهدلات وإهانات ثبت لهم أنه عراقي من أصل عربي (تبعية عثمانية)، ولكن التجربة التي مر بها كانت مأسوية.

كان من جيراننا أبوعمار، وهو من العجم، وابنه عمار كان رجل دين يلبس العمامة. وعندما جاء البعث الى الحكم نزع العمامة ولبس ثياب «الافندية» وأطال شعره كثيرا، وانضم الى حزب البعث، ولكن هذا لم يرحمه ولم ينقذه من التهجير الذي طاله مع عائلته وظل بيتهم خالياً لفترة من الزمن.

وكان من جيراننا أبو معين، ومنزلهم «آيل الى السقوط» وعندما يتساقط المطر لا تستطيع لمس الجدار؛ لأنه يكهرب اليد... وذات ليلة هطل مطر غزير فتهدَّم المنزل على من فيه، وتوفيت امرأة واحدة بسبب ذلك. أصبحنا الصباح وإذا بالمنزل الواقع أمام منزلنا قد انهار بالكامل.

ربما ان من أجمل الأسواق كان سوق الكبير، والوالد كان يزور دكان أبو مزهر، وهو متخصص في بيع العبي (البشوت)... ومن أجمل الأحياء التي كنا نزورها «حي المعلمين» و«حي السعد»، ومن أفقر المناطق كانت «الشوافع» وهي قريبة من شاطئ، ومنطقة منخفضة جداً عن مستوى المنازل الأخرى. الأحياء الرئيسية في النجف القديمة والمحيطة بحضرة الإمام علي هي البراق والمشراق والعمارة والحويش.

لم يكن السلب والنهب الذي ازداد بعد مجيء حزب البعث هو الأمر الوحيد، فلقد كان علماء الدين الذين يلبسون «العمامة» يعانون الأمرّين كلما مرّوا في الطرقات، إذ كان يتجمع حولهم بعض السفلة ويهتفون «الموامنة جواسيس، الموامنة جواسيس». و«الموامنة» - كما سبق وذكرت - كلمة تحقيرية لعلماء الدين. والوالد كان يتصدى لهم ويرد عليهم باللهجة العراقية «أدب سز» (يا عديمي الأخلاق)، ثم يراددهم، وكانوا يخافون عندما يرد عليهم عالم الدين ولكنهم يستأسدون عليه إذا سكت عنهم. وفي مرة مرّ أمام منزلنا أحد علماء الدين الكبار المعروفين في النجف وأحاط به السفلة من كل مكان ولم يكتفوا بشتمه ولكن أيضاً أهانوه عبر بهدلته باليد وملامسة المناطق الحساسة بصورة سيئة وشديدة. وكنت قد هربت من الموقع واستمريت في المشاهدة من ثقب المنزل. ولكن لم يستطع أحد فعل شيء؛ لأن هؤلاء السفلة كانوا يأتمرون بحكومة البعث التي تعتمد على السفلة في كل شيء.

بدأ البعثيون يملأون المنازل في منطقتنا، وصادف أن توفيت جارتنا (أم علي) ما حدا بزوجها وابنيها الانتقال من منزلهم. وكان الشخص الذي حلّ محلهم أحد أفراد المخابرات ومعه اثنتان من أخواته. وعرفنا أنه من المخابرات؛ لأنه يلبس ثياباً مدنية وفي كل يوم نشاهده عند إحدى بوابات

حضرة الإمام علي (ع) يتحدث إلى الشرطة بين فترة وأخرى ويتفحّص كل ما يدور من حوله ويداوم يومياً في المكان نفسه.

لم يكتفِ بعمله بل بدأ باستهداف الوالد والتعرض له وكل يوم يوقف الوالد ويقول له «لدينا ماء في المنزل يأتي من جهتكم»... ومرة أخرى يقول شيئاً آخر، حتى تجرأ مرة وأوقف الوالد في سوق العمارة محاولاً الاعتداء عليه بالضرب. كان الوالد بالقرب من دكان «القصاب»، واسمه «لطيف»، الذي نشتري منه اللحم وكان القصاب صديق الوالد، وعندما شاهد شخصاً يحاول الاعتداء عليه حمل سكينه الكبيرة وركض باتجاه ذلك الشخص السيئ. وكالعادة، فالجبناء من أتباع حزب البعث يخافون عندما تُردُّ عليهم، فما كان من ذلك الذئب المفترس إلا أن يخضع ويتنازل ويطلب مصالحة الوالد وانه جار يبحث عن تفاهم وليس عن مشكلات.

الوالد كان لديه أصدقاء كثيرون في الاسواق المحيطة بنا. فالرسائل والبرقيات من البحرين كانت تصل إلى دكان في سوق العمارة لصاحبه «حسين العذاري»، والوالد يمرّ يومياً على الدكان. وكان هناك أيضاً في سوق العمارة دكان جواد المظفر الذي كنا نشتري منه المواد الغذائية. كثير من الدكاكين كانت ترفع شعار «الدَّين ممنوع»، وكنت أسأل نفسي، لماذا يمنعون الدين، وكنت أعتقد أن المقصود بذلك دين الإسلام، إلى أن عرف بعض أفراد عائلتي تفسيري لما كنت اقرأه وسخروا منّي وأوضحوا أن الشعار يعني «الاستلاف ممنوع».

كان الوالد يذهب يومياً تقريباً إلى سوق لبيع الكتب محاذية لسوق الحويش، وكنت أذهب معه، وكان كل يوم يشتري كتاب صغير أو كبير... وقرر ذات يوم إعادة تنظيم مكتبته في المنزل، فقام بتجليد الكتب وجمع الكتب الصغيرة

في مجلدات قوية، ومن ثم ذهب الى نجّار وطلب منه صناعة طاولة تناسب جلسة الوالد على الأرض، إذ كان الوالد يجلس على الأرض ويسحب الطاولة لتغطي ركبتيه ويبدأ بالقراءة والكتابة... وكنت قد ذهبت معه إلى النجار عدة مرات، ويوم اكتملت الطاولة جاء بها فرحاً الى مجلسه إذ توجد مكتبته الخاصة، ووضعها وجربها وكان سعيدا بها، واعتبرها قوية جداً... فجأة خطرت ببالي فكرة لاختبار قوتها، وهرعت إلى مطرقة كان يستخدمها الوالد، ورفعتها إلى أعلى شيء وهويت بها على الطاولة، فما كان من مقدمة المطرقة إلا واخترقت سطح الطاولة الجميل جداً...

غضب الوالد مني كثيراً، وركض خلفي لمعاقبتي؛ لأنني خرّبت طاولته في اليوم الأول لاستلامها، ولكنني أعرف كيف أوقف مطاردته لي، فهرعت إلى أعلى السطح، وهناك أركب فوق حائط السطح المصنوع من مواد عدة من بينها «صفيح الچينكو»، وبعد ذلك أضع رجلاً على حائط منزلنا، ورجلاً أخرى على حائط الجيران... الوالد يتوقف فجأة، فالفكرة تنجح في كل مرة، لأنه إذا طاردني فقد أقع بين الجدارين إلى الأرض، ولكنني لن أصل إلى الأرض إذا وقعت؛ لأن أسلاك الكهرباء الممدودة بين المنازل كثيرة، والموت سيكون نتيجة شبه مؤكدة. الوالد يتراجع الى الخلف وينزل من على السطح، وأبقى فترة حتى يهدأ روعه وأنزل من ذلك المكان... الفكرة كانت تتكرر وتنجح، ولذا، إذا كان الوالد يريد معاقبتي، فإن أول شيء يعمله هو قفل الباب المؤدي إلى سطح المنزل.

(3)

كان الوالد المرحوم الشيخ عبدالأمير الجمري يعزم أناس كثيرين إلى منزله، وفي الصيف يفتح السرداب؛ لأنه ابرد، وكان يطلب من والدتي أن تقفل باب السرداب لكي لا أدخل عليه وعلى ضيوفه وأعكّر الجلسة عليهم بـ «الشطانة»... ولكن الوالدة تستطيع منع أخي الأكبر محمدجميل، غير أنها لا تستطيع منعي، وكثيراً ما تتنازل وتفتح باب السرداب، وأول ما أنزِل ويراني الوالد يبدأ بالاستعداد إلى إخراجي من المكان، ولكنني أتوجه مباشرة وأجلس إلى جنبه. وفي بعض الأحيان يؤشر باصبع رجله اليمنى (بصورة خفية) على رجلي ليعلمني بأنه يجب عليَّ الخروج (لأن ضيفه أحد علماء الدين الكبار مثلاً)، ولكنني ألتفتُ إليه وأقول «لا تفلص» وذلك بصوت مرتفع يسمعه الضيف، وعليه فمن الأفضل أن يتركني وحالي.

كان من جيراننا «العلوية»، وهي زوجة السيدعلي كمال الدين (أحد قادة هيئة الاتحاد الوطني مابين ١٩٥٤ و١٩٥٦)، وكان الوالد يمر عليها ويسلم عليها باستمرار. وكانت العلوية «عراقية»، وعندما رجع السيدعلي كمال الدين في مطلع السبعينات إلى البحرين، بقيت في النجف الأشرف في منزل أبوجواد. وفي مرة من المرات شك البعثيون ان أبوجواد من العجم ودخلوا المنزل لسلبه وطرده من المنزل، وذهبوا أيضاً لسلب العلوية، إلا أنها قالت لهم أنه ليس لديها مايستحق السلب سوى سجادة الصلاة وخاتم يدها، وتركوها لحالها.

وفي إحدى المرات كنت بجانب منزل «العلوية»، وإذا بابنها «سلمان كمال الدين»، وحالياً ينشط مع الجمعية البحرينية لحقوق الإنسان،

يقترب من المنزل وهو يلبس ثياباً عسكرية جميلة جداً، وبيده خيزرانة صغيرة كان يمسك بها... وكانت مجموعة من أطفال النجف تمشي خلفه للنظر إلى بدلته العسكرية (كانت على ما أتذكر بيضاء اللون وعليها إشارات عسكرية)، فالتفت إلى مجموعة الأطفال ونهرهم وطردهم من حوله وذلك عند اقترابه من منزل والدته «العلوية».

أتذكر أيضاً ان الوالد المرحوم الشيخ عبدالأمير الجمري كان يجمعني مع أخي محمدجميل وأختي عفاف، ويدرّسنا كتاب الفقه «تبصرة المتعلمين في أحكام الدين» للعلامة الحلي، وكان يمر على قضايا فقهية تتعلق بالكبار البالغين، ولم أكن أفهم كثيراً مما يقول خصوصا في باب الطهارة بالنسبة للنساء. ولكن الجلسة معه ممتعة، خصوصاً أنه زودنا بنسخ صغيرة وجميلة (طبعة النجف) من كتاب التبصرة.

كما كان الوالد يحفظنا أسماء أجدادنا كلها، وحينها كان يطلب مني أن أردد اسمي الكامل، فكنت أردد «اسمي منصور عبدالله (وكنا نستخدم اسم عبدالله بدلاً من عبدالأمير)... منصور عبدالله منصور محمد عبدالرسول محمد حسين إبراهيم مكي الشيخ سليمان مكي الجمري البحراني». وبدأت أكتب هذا الاسم على بعض دفاتري المدرسية، مما أثار استغراب البعض في المدرسة، وخصوصاً وأن المدرسين العراقيين يختصرون الأسماء، وكثيراً ما يكتبون اسم «منصور عبد» فقط.

أفضل الأوقات كنا نقضيها داخل المنزل مع قصص الوالدة التي كنا نطلب منها تكرارها دائماً لأنها جميلة ومؤثرة ولها معانٍ عدة. والوالدة آنذاك كانت تقصّ علينا قصصاً من التراث وقصصاً أخرى كانت تقرأها من كتب متوافرة في مكتبة الوالد كانت تستخدمها الوالدة لقراءة قصص

علينا. وأحد الكتب كان يحتوي على قصص مترجمة إلى العربية، وإحدى تلك القصص حزينة جدا تنتهي بانتحار الفتاة في القصة، وكنا نطلب من الوالدة قراءتها، وكنا (أنا وأخي محمد جميل وأختي عفاف) نصغي إليها ودموعنا في أعيننا لشدة تأثرنا بالقصة. وكنا نتسابق بأننا سنستمع إلى القصة مرة أخرى ولن نبكي ولم يكن ذلك سهلاً.

القصص الأخرى الجميلة التي ترددها والدتي يوميا لا نمل منها، ومعظمها من التراث. إحدى تلك القصص الجميلة تتحدث عن سلطان له ابن، وهذا الإبن له «أذن» تشبه أذن الحمار، وكبر الطفل وطال شعره، واضطر السلطان أن يأتي بحلاق ويهدده إذا تحدث بما يراه فإنه سيقطع رقبته... وعندما قام الحلاق بمشاهدة أذن ابن السلطان اندهش من ذلك، ولكنه خرج مكبوتاً يخاف الكلام. ولأن الحلاق تصاحبه مهنة الثرثرة مع من يحلقهم، فإنه أصيب بمرضْ السكوت، وخاف عليه أهله واخذوه إلى حكيم... وبعد أن عاينه الحكيم أخذه إلى البر، وهناك حفر له حفرة وضعه فيها، وغطاها، وقال له: «قل مافي قلبك، لا أحد يسمعك أبداً»، وعندها بدأ الحلاق يصرخ بأعلى صوته «وليد ابن السلطان أذون بني آدم وأذون حمار...»، وكررها كثيراً إلى أن هدأ روعه، وخرج معافى ومشافى... غير أن الحفرة أنبتت شجرة، وأوراق الشجرة بدأت تصفق وتغني باستمرار «وليد ابن السلطان، أذون بني آدم، وأذون حمار...». مات السلطان، وتسلم ابنه الحكم، وخرج ذات يوم متبخترا للصيد في البر، ومن بعيد سمع أصواتاً متعالية تفضح سره الذي أعتقد أنه لايعرفه أحد، وأن من يعرفه يخاف على نفسه من الموت فلا يتكلم... قام ابن السلطان الذي أصبح سلطانا برمي نفسه من مكان عالٍ وانتحر لأن الأصوات ارتفعت وفضحت أمره...

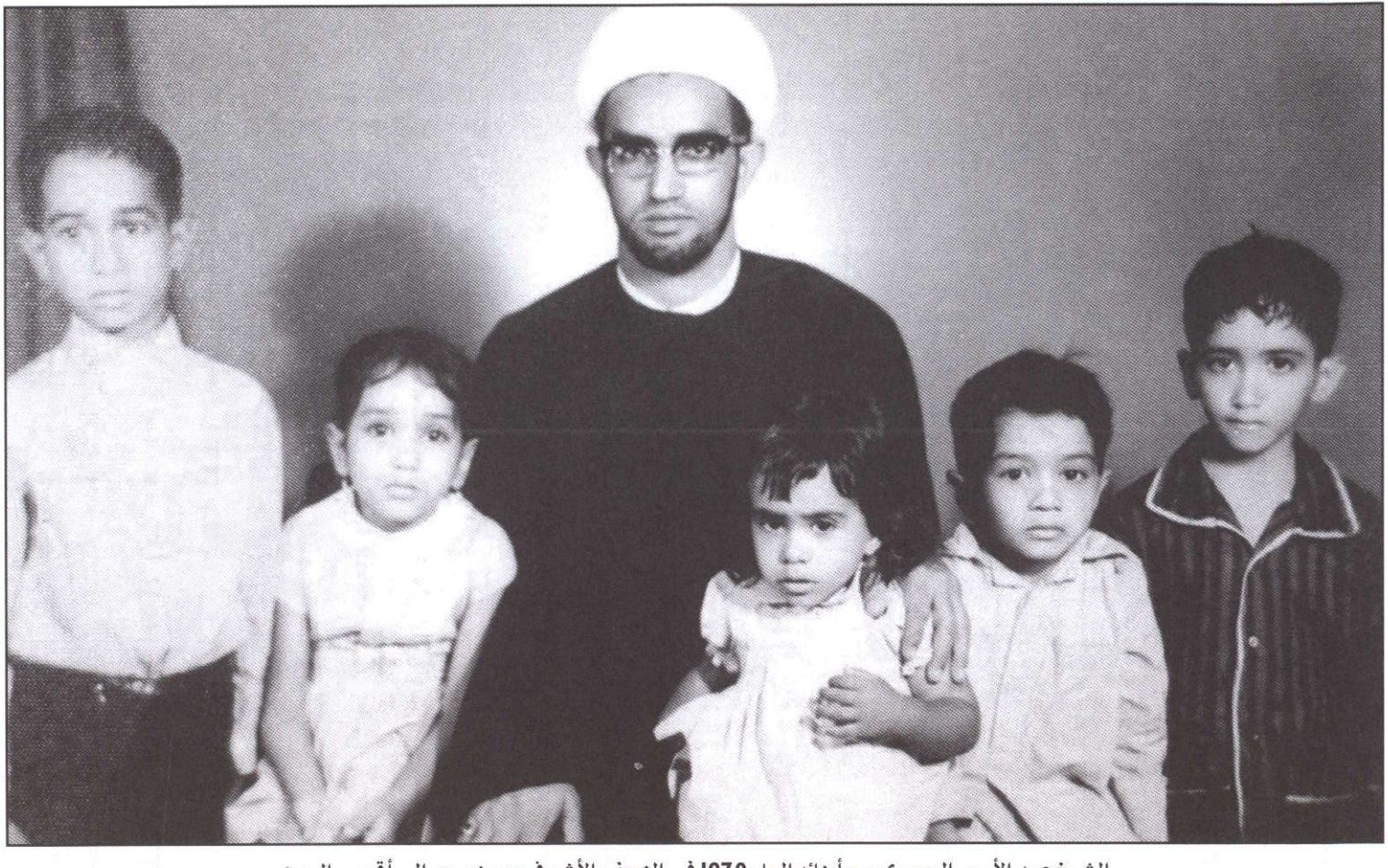

الشيخ عبد الأمير الجمري مع أبنائه العام 1970 في النجف الأشرف، ومنصور إلى أقصى اليمن

قصة جميلة أخرى كانت الوالدة ترددها بأسلوبها الذي يؤدي بنا إلى النوم مع انتهاء القصة، وتلك كانت قصة «أم الروازن» البنت الجميلة والفقيرة التي رآها أحد الاغنياء وعطف عليها، وقرر تخليصها من الفقر عبر الزواج منها ووضعها في قصره... فكان له ما أراد، إذ دعاها إلى قصره وتزوجها... غير أن الرجل الغني اكتشف أنه بعد زواجه من تلك البنت الجميلة ازداد الذباب وازدادت الحشرات وازدادت الرائحة الكريهة في قصره، واستغرب من ذلك لأن لديهم خدماً وحشماً ينظفون كل شيء... وفي ذات يوم بدأ يراقب زوجته، وإذا بها تأخذ الطعام من على السفرة المملوءة بصنوف الأكل اللذيذ، وتذهب إلى إحدى الغرف، وتقوم بتوزيع الأكل على الرفوف (الروازن وهي جمع روزنة، أي الرف)، وبعد ذلك تقوم بالطرارة من الرفوف وتردد: «يا الله من مال الله»... وتأكل من كل رف شيئاً قليلاً، وبأسلوب رث، وتترك الباقي ليجلب النمل والذباب والحشرات... فاستغرب الرجل المحسن من ذلك وعرف أن المشكلة لم تكن في فقر الفتاة وإنما في تطبعها على التسول والطرارة، وأصبح هذا في دمها ولم تستطع التخلص منه حتى بعد أن منّ الله عليها بالنعمة... قصص أخرى جميلة قد لايتسع المجال لذكرها هنا كانت هي العوض عن التلفزيون الذي يجالس أطفالنا اليوم.

طفولة النجف احتوت أموراً جميلة كثيرة... فصوت المؤذن في حضرة الإمام علي (ع) وتوافد الناس على المشهد من كل مكان مظهر جميل، والالتقاء بالبحرينيين الذين كانوا يزورون منزلنا عند زيارتهم للنجف كان دائماً يبعث الفرحة فينا. وكثير من الأقارب ومن البحرينيين كانوا يملأون قلوبنا بالفرح عند زيارتهم لنا...

وزارنا ذات عام المرحوم علي منصور الغسرة، وكنت أسير معه بصورة شبه يومية إلى حضرة الإمام علي وأذهب إلى المكان الذي استأجره أثناء بقائه في النجف (في حي العمارة)، وعند اقتراب عودته إلى البحرين، قال لي «أعطني صورتك لكي أريها لابني في البحرين الذي يحمل اسمك أيضاً»... ذهبت إلى المنزل، ولكن ليس بالإمكان أن توفر صورة في النجف، فتلك الأيام الصورة تحتاج إلى تخطيط كبير من المدرسة أو من الوالد للحصول عليها... وعليه أمسكت بورقة وقلم، وقمت برسم «خرابيش»، اعتقدت أنها تشبه صورتي، وهرعت بها إلى المرحوم علي بن منصور الغسرة، وقلت له «تفضل هذه رسمتي»، فخر ضاحكاً على ما فعلته.

تلك كانت النجف الجميلة، ولكن النجف بدأت تتحول إلى بيئة موحشة بعد مجيء حزب البعث إلى الحكم، وقيامه بتهجير العراقيين من أصل إيراني من منازلهم. بعد ذلك، بدأت اشكال همجية تتكاثر في منطقتنا، وكان من بينهم عائلة لديها «حمير» في مكان ما في النجف.

وكان أحد أبناء هذه العائلة يأتي بأحد حميره من المكان البعيد إلى الحي ويوقف الحمار أمام المنزل الذي احتله بعد تهجير أصحابه العجم، كل يوم، ويبدأ بضرب الحمار بكل شيء موجع، بما في ذلك في إحدى المرات أستخدم أنبوباً من حديد لضرب الحمار على الوجه وعلى كل مكان حتى سال دم ذلك الحمار وبدأ يعرج ووجهه ينزف، ومنظره يثير الشفقة. مررت ذلك اليوم أمام المنزل المحتل، وقد تأثرت كثيراً لحال الحمار وقلت له: «خليه... خطية المطي... لاتضربه»، ومعناه «مسكين الحمار... لاتضربه». ولكن كيف أتجرأ وأقول «خطية»؟... إذ هرع ذلك

الوحش تجاهي بما كان في يده، ولو أمسكني لفعل بي ما شاء... منذ تلك الحادثة، وحتى خروجي من النجف (ربما سنة أو سنتين) كنت أخاف خوفاً شديداً من المرور أمام ذلك المنزل، ولا أمر أبداً إلا إذا كان هناك أناس معي في الطريق.

الضاربون للحمير ازدادوا في منطقتنا، وكان أحدهم يأتي وقت الظهيرة ليجمع بقايا الطعام، ولم نكن نعلم ماذا يفعل بفضلات الطعام على رغم أن هناك كلاماً يتردد أنّ قشور البطيخ الأحمر يستخدمونه لصناعة الصابون والبقية يتم استخدامه كغذاء للحيوانات. وذات مرة قررت خالتي نجاح التي سكنت معنا لمدة سنة واحدة الانتقام من صاحب الحمار الذي لا يرحم الحيوان، فطلبت مني أن أجهز نفسي وأستفيد من فرصة تركه الحمار في الزاوية التي يوجد فيها منزلنا من دون وجود صاحبه الذي يذهب لجلب الفضلات من زاوية أخرى وأقوم بقلب «عدة الحمار»... وفعلاً ما إن ترك صاحب الحمار حماره لأقل من دقيقة واحدة وإذا بكل ما جمعه سقط على الأرض وقد كان كثيراً جداً... بدأ ينظر يمنة ويسرة محاولاً اكتشاف الفاعل ونحن ننظر إليه من ثقب الباب الرئيسي، ولم يعرف الفاعل. ولو عرف انني الذي فعلت ذلك لنال مني وأسال دمي كما كان يسيل دم حماره ويثقله بفضلات الطعام.

واحدة من العادات السيئة التي كانت تنتشر آنذاك هي التعرض للذات الإلهية وللأسماء المقدسة... وليس معروفاً كيف انتشرت تلك العادة، إذ إن الناس العاديين عندما يختلفون مع بعضهم البعض يصادف كثيرا أن تسمع أحدهم يشتم الله، أو أحد الأسماء المقدسة. البعض يقول إن

منصور (أقصى اليسار) العام 1970 في النجف الأشرف

التشجيع على شتم الذات الإلهية انتشر بسبب موجة إلحاديّة، شهدها العراق، وان الشيوعيين أو البعثيين ساعدوا على ذلك لاحقاً، ولكنني لست متخصصا في الموضوع، ولست أدري إن كان ذلك صحيحاً أم إنه من الكلام السياسي الذي يحاول النيل من هذا الطرف أو ذاك. كنت مرة في سوق الحويش بمحاذاة الجامع الهندي، وكانت إحدى النساء تبيع مجموعة من النعل (مجموع نعال)، وكانت بين فترة وأخرى تحصي عددها أثناء البيع، وتصادف إن كنت قريباً من الجامع عندما أحصت عدد ما لديها، واكتشفت (أو تصورت) أن أحدهم قد سرق نعالاً منها... فبدأت تتوتر وتردد عبارات عديدة مثل «من الذي سرق نعالاً مني؟»، وبعد فترة رفعت رأسها إلى السماء وأشارت باصبعها السبابة وتوجهت بالحديث إلى الله «كل هذا من عندك... أنت تدري أنه واحد راح يسرقني اليوم... انت كله صوجك». وبعد ذلك بدأت بشتم الله بكلمات لايمكن ذكرها.

النجف لم تحتوِ على وسائل ترفيه للأطفال، ولكن كانت هناك بدائل. فهناك لعبة الطائرات الورقية التي نشتريها ونطيّرها من فوق سطوح المنازل في العصر. وكنا نتنافس فيما بيننا أي شخص يستطيع «تطيير» طائرته أعلى وأطول وقت. وكنا في بعض الأحيان «نتحارب» إذ نحاول سحب طائرة أحدنا إلى الآخر أو قطع خيطها.

وعملية القطع تحتاج إلى عمل آخر يجب علينا القيام به قبل تطيير الطائرات. فكنا نأتي بـ «زجاج» ونطحنه باستخدم «الهاون» المنزلي، ومن ثم نعجنه بالرز المطبوخ. وبعد ذلك نمرّر العجينة على الخيوط

وبعد أن تنشف الخيوط تصبح مثل المنشار. وبعد ذلك «نطير» الطائرة الورقية وحين يلامس الخيط «المنشار» خيطاً آخر لا يحتوي على مادة الزجاج فإن صاحب المنشار «ينتصر»!

لعبة «الدعبل» (التيلة) كانت مشهورة وكذلك عدد من الألعاب الأخرى مشهورة أيضا. وفي ذات يوم كنت ألعب مع أبناء الجيران وكنت قد لبست ساعة يدوية جلبها لي والدي بعد أن عاد تواً من البحرين، إذ كان يسافر إلى البحرين في رمضان وعاشوراء من أجل «القراءة» ولتوفير بعض المال لمواصلة الدراسة. «الساعة اليدوية» كانت شيئاً غير متوافر آنذاك في النجف، وكنت أنا ألبسها وألعب خارج المنزل. مر علينا شاب ضخم جداً وتوقّف يشاهدنا بعد أن شاهد الساعة اليدوية على يدي. وبعد دقيقة من وقوفه قال لي: «لا تلعب، يمكن توقع»... قلت له «وما دخلك؟» إلا أنه هجم عليَّ وسلبني الساعة اليدوية وولى هارباً بها.

السفر من وإلى البحرين له خاصيته على رغم المخاطر المحفوفة به، وكذلك القصص الطريفة التي تحصل باستمرار بسبب اختلاف اللهجة العراقية عن لهجة أهل البحرين الذين يزورون النجف وتحصل لهم الكثير من الأمور أثناء تعاملهم مع العراقيين. ولكن تبقى في الذكريات حوادث تعبّر عن أجواء تلك المرحلة وظروفها.

أتذكّر أننا مرة سافرنا من البحرين إلى البصرة عبر باخرة، وتعطلت في وسط الخليج، وضج الناس، لاعتقادهم بأنها ستغرق، وأتذكّر مرور طائرة

صغيرة جاءت لاستكشاف ما حدث لتلك الباخرة التي كانوا يطلقون عليها مسمى «التك»، وبعد توقف دام ربما يوم أو أكثر، اشتغلت الباخرة ووصلت إلى البصرة (وعلمنا انها غرقت بعد سنة أو سنتين)... عندما وصلنا إلى البصرة جاء أحد أقاربنا لاستقبالنا، وقال لي الوالد أن لدينا أهلاً من بني جمرة هاجروا إلى البصرة قبل مئة عام للابتعاد عن بعض المظالم الواقعة عليهم (مازالوا يعيشون في البصرة ويزورونا بين فترة وأخرى). أخذنا أقاربنا إلى بيتهم الواقع في «القصبة» آنذاك، بالقرب من البصرة، وهو بيت طيني كبير وجميل جداً، وعندما وصلنا في اليوم الأول مشيا على الأقدام إليه، وفي صباح اليوم الثاني وجدنا أن المنزل محاط بالمياه... وكان هذا شيئا طبيعياً، إذ إن لديهم قوارب توصلهم بين بعضهم البعض، والمنطقة تشهد هذا الأمر يومياً.

ومن ذكريات المدرسة عندما دخلت الصف الأول في مدرسة الطالبية الابتدائية للبنين، وكان المدرس يأتي صباح كل يوم ويأمرنا أن ننام لربع ساعة ثم علينا أن نخبره بالحلم الذي شاهدناه أثناء النوم. وكنت أخشى أنني إذا لم احلم فإنه سيعاقبني ولذلك كنت أضع رأسي وأحاول أن أختلق قصة أقول إنها الحلم الذي شاهدته. المدرس كان - كما يبدو - متململاً من التدريس وكان يضيع وقت الدرس كل يوم بهذه الوسيلة، ولكن هذا الأسلوب توقف في يوم من الأيام. ففي ذلك اليوم وقف أحد التلاميذ وقال للمدرس: «أنا حلمت أنك وأمك فوق بعير»... وهنا انفجر الصف ضاحكاً، ولكن المدرس لم يضحك أبداً بل ركض تجاه التلميذ وأشبعه ضرباً. ففي العراق لا يمكن أن تذكر «الأم» إلا للشتم

كما ان كلمة «بعير» (أي جمل) تستخدم أيضاً للشتم. ولكن التلميذ المسكين الذي حصل على ضرب مبرح ذلك اليوم خلّصنا جميعاً من النوم الإجباري اليومي الذي كان يفرضه علينا المدرس، إذ لم يطلب منّا أيّاً من ذلك في الأيام التالية.

(4)

حادثة أخرى مع المدرس ذاته حدثت معي. فقد قرر الوالد أن يأخذني معه إلى البحرين في فترة أحد المواسم وهذا تطلب مني أن أغيب عن المدرسة، وكان الوالد - كما ذكرت آنفاً - يعود إلى البحرين من أجل ممارسة مهنة القراءة في المآتم الحسينية، وهي الوسيلة التي يستطيع من خلالها توفير جانب من المال الذي يحتاج إليه لمواصلة دراسته وحياته في النجف الأشرف. عندما عدت إلى النجف وذهبت إلى المدرسة، استقبلني المدرس المذكور في اليوم الأول، وكان غاضباً مني وقال: «أين الصوغة؟»، والصوغة هي الهدية. خفت منه، وقلت له: «إن شاء الله». في اليوم التالي، جاء إليّ وكرر الطلب: «الصوغة وينها؟»... عندها أخبرت والدتي بأن المدرس سيضربني أو سيسقطني إذا لم أعطه «صوغة».

وعليه بدأنا نفكر في شيء من الأشياء التي جاء بها الوالد من البحرين لكي نعطيه المدرس. بعد تفكير طويل، تذكرت الوالدة أن أخي الأكبر محمد جميل لديه قلم حبر جلبه الوالد له من البحرين، وهو يحب الكتابة باستخدام أقلام الحبر التي كانت تحتاج إلى عناية خاصة وإلى محبرة، وشكلها من الداخل يشبه الإبر الطبية القديمة إذ إن مستخدمها يحتاج إلى شفط الحبر كلما استهلك مابها من حبر في الكتابة.

وبعد حديث مطوَّل اقتنع محمد جميل بضرورة إنقاذ الموقف، وتخلّى عن قلمه الذي كان يعزه، وجاءت الوالدة بـ «طاسة» ماء كبيرة، وقمت بتنظيفه عبر سحب الماء إلى الداخل ومن ثم إخراجه مرات عدة إلى أن نظف القلم من لون الحبر وبدا وكأنه جديد. في اليوم التالي ذهبت مسرعاً إلى

المدرس وقلت له «تفضل هذه هي الصوغة» وفرح بالقلم كثيراً، واطمأننت على نفسي من غضبه، فلم يغضب مني بعد ذلك أبداً.

أتذكر أنه في تلك الفترة أيضاً كنت ألعب مع أخي محمد جميل وأختي عفاف، ولكن عفاف فضلت أن تلعب مع محمدجميل وتتركني، وقام بعد ذلك محمدجميل بتعييري بأن عفاف تفضل اللعب معه، وهذا أدى إلى بكائي وذهابي إلى الوالدة للشكوى، وكانت حينها مشغولة، فقالت لي «إذا عاندك افلعه». وبالفعل، قام «بمعاندتي» مرة اخرى، وبدلاً من اللجوء إلى البكاء حملت علبة حفظ نظارات الوالد رحمه الله (وكانت من النوع الثقيل) ورفعتها عالياً ورميتها بقوة على وجهه فأصابته في جبينه وخرج الدم من موقع الضربة، وهرعت الوالدة بعد أن سمعت الضوضاء وذهبت لمعالجة جميل وإيقاف الدم من جبينه، وهي تصرخ في وجهي «ويش سويت؟»، فقلت لها «أنت قلت افلعه إذا عاندك»، فردت عليّ «ولكن مو بهذا الشكل!».

أتذكر أيضاً أنني كنت قد قررت أن أصوم وأنا في عمر التاسعة، ولكن الجوع والعطش كانا ينهكاني وأنا أحتاج الذهاب إلى المدرسة ظهراً (في بعض الأيام) المدرسة مزدحمة وكنا نداوم أحياناً في الصبح وأحياناً بعد الظهر)، فحاولت الوالدة إقناعي بأن آكل وأشرب قليلاً، ولكنني رفضت، وجانب من ذلك بسبب الإصرار على المنافسة مع أخي الأكبر والأصدقاء من أبناء البحارنة في المدرسة. لكن الوالدة كانت تعد لي كأساً من «الفيمتو» وتدخلني إلى المطبخ بالخفية (لكي لا يراني جميل)، وتعطيني لكي أشرب، وكنت سأقاوم الشرب، لولا أنه كان شرابي المفضل آنذاك، الفيمتو!

ومن الذكريات، اشتراكي في الكشافة، ولكن الكشافة في النجف ليست كالكشافة في البحرين. فقد كانت عبارة عن تدريب على المشي العسكري

على نغم الموسيقى العسكرية مع أوامر تصدر بوسيلة «الصراخ المرتفع» من الأستاذ المسئول «يس... يم»، بمعنى قدم الرجل اليسرى، أو اليمنى... والاستاذ كان يتعامل معنا كما يتعامل العسكري مع فرقة مشاة.

وهذه الكشافة لا تخرج من المدرسة إلا في احتفال سنوي في يوم الجيش أو يوم آخر لا أتذكره، إذ كانت فرق الكشافة تتوجه إلى ملعب كبير تحت نغم الموسيقى العسكرية ضمن استعراضات عامة تشارك فيها المدارس. كما كنت في إحدى السنوات مشاركاً في «لوحة الشرف»، وهي استعراضات رياضية، وجميع هذه المشاركات كانت منسَّقة على مستوى المدارس كلها، وكانت هناك مسابقات سنوية بين جميع المدارس.

ومرة قرر الوالد العودة بجميع أفراد العائلة (على ما أعتقد لكي يقرأ في رمضان في البحرين)، ولكن محمد جميل لم يستطع المجيء معنا إلى البحرين، لأن لديه دراسة لايستطيع تركها، وعليه اتفق الوالد - رحمه الله - مع السيد شرف الخابوري (وكان يسكن قريباً من الشيخ عيسى أحمد قاسم) أن يبقى محمدجميل معه في النجف أثناء تلك الفترة. الوالدة ذهبت إلى السوق واشترت أشياء كثيرة إلى محمدجميل، ما جعلني أزعل، وطلبت منها أن تشتري لي مثل ما اشترته إلى أخي بالتمام والكمال... غير أنها قالت لي «جميل سيبقى هنا في النجف وأنت ستأتي معنا إلى البحرين، والبحرين فيها كل الأشياء التي تحبها وهناك نشتري لك ما تريد». وبعد عدة أيام من الحن والزن اقتنعت بما قالته أمي، وتنازلت عن مطالبتي بالمساواة مع أخي، وذلك لأنه بالفعل عندما نكون في البحرين فقد كان يبدو لي أن البحرين فيها الكثير، بل إنه عندما كنت أعود إلى البحرين لا أريد أن أذهب إلى النجف مرة أخرى، على رغم أن الأهل والأصدقاء في بني جمرة كانوا يعيبون عليّ

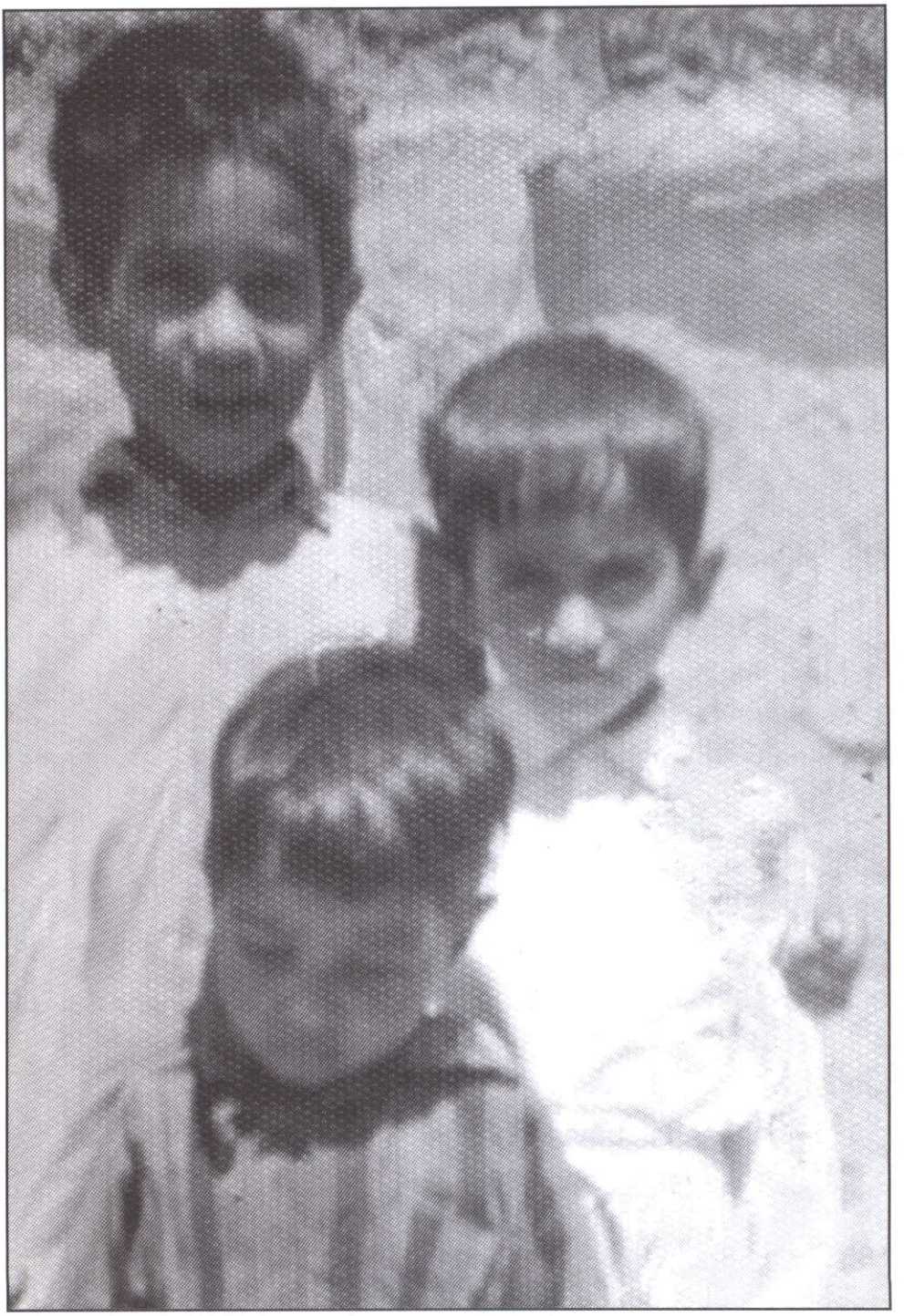

منصور (أقصى اليمين) مع محمد جميل وصادق في ستينات القرن الماضي في النجف الأشرف

لهجتي التي تغلب عليها اللكنة العراقية في أكثر الأحيان. البحرين كانت بالنسبة لي قمة السعادة وفيها كنت أوجد بين أهلي وأصدقائي، والمنازل المحيطة بنا في بني جمرة مفتوحة طوال النهار وأدخل أي منزل، وهذا بعكس النجف التي لم نكن نذهب إلى مكان آخر متى ما شئنا وكيفما شئنا، وأبواب منازل النجف موصدة في كل الأوقات. بعد المقارنة بين البقاء في النجف والحصول على ماحصل عليه محمدجميل، أو العودة إلى البحرين رَضِيَتْ نفسي كثيراً بالعودة إلى البحرين.

ومن الأمور التي اعتدت عليها في النجف هو شراء الحليب صباح كل يوم. فقد كانت والدتي ترسلني أحياناً لشراء الحليب، والحليب تبيعه مجموعة من النسوة يجلبن بقرهن إلى أماكن محددة ويحلبن البقر مباشرة ويبعن الحليب للمشترين. وفي الصباح الباكر يبيع العراقيون «المأكولات المصنعة محلياً» وهذه الوجبات لها خاصيتها التي تفوق جودتها في أي مكان آخر. وجميع تلك المأكولات يمكن شراؤها بأسعار رخيصة لاعتماد الناس عليها في غذائهم اليومي ولوفرتها أيضاً... وفي كل ساعة من النهار يتوافر نوع من الأكل؛ في الفجر مع الأذان تحصل على الهريسة النجفية، بعد أذان الصبح تحصل على الجبن الأبيض وعلى الصمّون وعلى القيمر والمربى - (القيمر مصنوع من حليب الجاموس وهو من ألذ الأنواع)، وفي الضحى ستحصل على اللبن والتمر وعلى الصمّون مع الطرشي، وشراب الشوندر... في الظهر تحصل على الأكلات التي تناسب وجبات الغذاء، وفي الليل تبدأ مشاوي الكبدة واللحم بشكل مكثف بالقرب من حضرة الإمام علي (ع)... الخ.

ولحبنا للقيمر النجفي، فإن الوالدة استمرت في استخراج شيء يشبهه من حليب البقر (لا يوجد جاموس في البحرين) بعد رجوعنا، وكنا نستيقظ

على جملة للوالدة «سبق لبق»، ومعناها أن من يستيقظ قبل غيره يستطيع أن يتذوق شيئاً يشبه قيمر النجف.

الشراء في أواخر أيام النجف كان بالأسلوبين القديم والجديد... ففي آخر فترة كنا فيها افتُتِح في النجف محل حديث كنا نعرفه باسم «أوريزديباك»، ووضع هذا المتجر الحديث إعلاناً يقول بأنه لايبيع أي شيء أقل من ٢٥ فلساً... والخمسة والعشرون فلساً العراقية كانت تأتي بأشياء مهمة، وكنت أسمع من يردد «شنو هاي يابه»، مستغربين غلاءه!

إلا أن حزب البعث شوّه المجتمع العراقي كثيراً. ومثال ذلك أحد جيراننا (المذكور آنفاً) الذي كان لابساً العمامة وطالباً في الحوزة الدينية، ولكن فجأة نزع العمامة وأطال شعره ولبس البنطلون الذي كان ضيقاً من أعلى، وفسيحاً من الأسفل بحيث يغطي كل القدم، وكان النجفيون يطلقون مسمى «تشارلستون» على البنطلون. وهذا المسكين نزع العمامة ولبس بنطلون الموضة وسجل في البعث، ولكن انتهى أمره مهجراً على الحدود العراقية - الإيرانية مع عائلته.

الخدمات العامة كانت قليلة والناس تعتمد على بعضها بعضاً. فالأطباء موجودون ولكنه طب خاص، كما أن الأطباء «الشعبيين» كانوا موجودين ويمارسون مهنة الطب القديم المخلوط بالطب الحديث. وكنت قد شارفت على الموت ذات مرة؛ إذ وازدادت درجة الحرارة بصورة حرجة وكان والدي ينقلني من طبيب إلى طبيب حتى أنهم يئسوا من شفائي، وقام والدي بتوجيهي جهة القبلة لاعتقاده بأنني لن أعيش بعدها، غير أنه توجه بالدعاء ونذر لي، وبحسب رواية الوالد، كان اليوم التالي لدعائه بداية التحسن والشفاء.

كنا بين فترة وأخرى نسافر إلى العتبات المقدسة الأخرى مثل الكاظمية وكربلاء والكوفة وغيرها من المناطق. والسفر إلى تلك الأماكن كان متعة بحد

ذاته، وكنت اختار إحدى اللهجتين إما لهجة أهل البحرين أو اللهجة العراقية النجفية بحسب الحاجة. فقد كنا نلتقي بأناس كثيرين من البحرين ومن المفضل أن لا أكون عرضة لتعليقاتهم ولذلك فإني كنت أحاول الابتعاد عن اللهجة العراقية. ولكن إذا تعاملت مع العراقيين فمن الأفضل أن ألتزم باللهجة النجفية لأن أهل النجف لهم احترام وهيبة...

وفي ذات مرة كنت في الكاظمية وكان أخي صادق يلعب بـ «قواطي» (علب) فارغة وهو واقف بجانب شبّاك، وحدث أن وقع أحد تلك «القواطي» الصغيرة من النافذة بالقرب من امرأة عراقية، وكانت تعلم أن أناساً من البحرين يسكنون تلك العمارة في العادة. فانهالت على أخي بالشتم والصراخ ولم تتوقف بل إنها كانت تصعّد لهجتها وتطالب بالتعويض على رغم أن «القوطي» وقع بالقرب من رجلها وليس عليها ولم يجرحها ولم يؤذها...

كنت حينها أحاول إقناع أمي أن تعطيني بعض المال لشراء شيء ما، ولكن كلام المرأة الكظماوية كان مرتفعاً جداً لأن الشباك ليس بعيداً عن الأرض والطابق الأول (الذي كنا فيه) منخفض نسبياً... عندها ذهبت إلى الشباك لأعرف سبب الصراخ، ولكن المرأة ازدادت صراخاً عندما رأتني. كانت لدى صادق قوطية فارغة أخرى، فأخذتها وتوجهت إلى حافة الشباك وبدأت أصرخ على المرأة التي استغربت أن صبياً (كنت ربما في العاشرة) يرد عليها صراخها. ومن الكلام الذي رميته عليها «خالة شكو؟ شتريدين ... امشي هسه لا يجيك قوطي على راسك... امشي...». المرأة خافت وقالت «انتو النجفيين هوايا وكحين...» وهكذا انتهى صراخها علينا لأنها اعتقدت بأننا «نجفيين»! بينما كانت تصرخ بشدة في بداية الأمر على أساس أننا من البحرين.

المرحوم الشيخ عبدالأمير الجمري في نهاية الستينات في النجف الأشرف

زيارة العتبات المقدسة والمدن العراقية كانت متنفساً لنا من الروتين، فكربلاء والكاظمية والكوفة وغيرها أماكن جميلة لها مميزاتها التي يتمتع بها من يزرْها. وأتذكر أن الوالد زار مرقد كميل بن زياد وفي الطريق إلى المرقد زار منزل المرحوم الشيخ أحمد الوائلي، وكان منزلاً وحديقة جميلة تعبر عن الذوق الرفيع للوائلي. وجلس الوالد مع الوائلي في الحديقة التابعة للمنزل، وقام الوائلي بوضع رجل على الأخرى أثناء جلوسه على الكرسي، فقمت بتقليده بوضع رجل على أخرى، ما أزعل الوالد، غير أن الوائلي قال «خليه، مايخالف».

ومرة أخذتنا المدرسة إلى مكان أثري وهو «قصر الأخيضر»، وكانت رحلة جميلة جداً، ولكن المدرس لم يتوقف عن المبالغة وهو يشرح لنا تاريخ القصر، وكنا نحن التلاميذ نستمع إليه ونخاف من إبداء أية ابتسامة عندما يردد قصصه المبالغ فيها... فمن بين ماكان يقوله: انظروا إلى عظمة أجدادنا كيف بنوا هذا القصر العظيم منذ قديم الزمان، وأن سقوف القصر ليس لها أعمدة ولكنها لا تقع ... غير أننا كنا نرى مايخالف قوله، ولكننا لم ننطق بأية كلمة خوفاً منه ومن ما قد يصيبنا بعد ذلك.

مدرسة الطالبية كانت مملوءة بالطلاب وبالمشاهدات، وعدة أسماء لاتزال عالقة في ذهني، وحريٌّ بذكرها ضمن هذه الذكريات التي تبدو متناثرة، ولكنها ليست متناثرة... في العام ١٩٧١، كان في صفنا تلميذ اسمه أحمد، كان الأطول من بين كل التلاميذ، وكان أيضاً مراقب الصف، ويمتلك من الصفات ما يجعله محبوباً من الجميع... غير أن أحمد كان عراقياً من أصل إيراني (عجمي)، وهذا لم يغفر له كل حسناته لدى مدرس الرياضة، ذلك البعثي الشرس.

ففي أحد الأيام كان المطر يهطل علينا، ولم يكن بالإمكان الخروج من أجل الرياضة في ساحة المدرسة، فقرر مدرس الرياضة أن يعطينا درساً عن «حزب البعث العربي الاشتراكي» داخل الصف... دخلنا الصف، وبدأ يكتب شعارات الحزب على السبورة بهدف شرحها لنا... ومن ثم قام يشرحها. وكان شعار «أمة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة» يتكرر على لسان كل بعثي، وبدأ يشرح لنا ما هي الأمة العربية. في الأثناء رفع أحمد يده ليسأل سؤالاً، إلا أن مدرس الرياضة رد عليه «اسكت، أنت عجمي».

أحمد كان واقفاً في آخر الصف، وفوجيء بالرد، ووجهه تحول إلى اللون الأحمر، وتمتم ببعض الكلمات التي لم أسمعها... وبمجرد أنه تمتم بشيء ما، وإذا بذلك المدرس الشرس يهجم عليه هجوماً عنيفاً، إذ ركض إلى آخر الصف، وبدأ بالركل والضرب (وكان مدرس رياضة وصاحب عضلات)، ولم يتوقف عن أحمد إلا بعد أن أنهكه بالضرب والشتائم.

خلال بعض سنوات الدراسة الابتدائية، كان أحد أصدقائي العراقيين يدعى صباح، ووالده كان مدرساً في المدرسة، وكان والده صاحب هيبة وشخصية قوية جداً، وكان قيادياً في حزب البعث. كان صباح يحدثني أن والده سجن لمدة سنة أو سنتين (لا أذكر) وأنه أفرج عنه وعاد إلى التدريس مع وصول حزب البعث إلى الحكم في ١٩٦٨. وكنا نخرج أحياناً بعد الدوام، ولكنه أخبرني بأن المكان المفضل لديه بعد المدرسة هو «منظمة الحزب»، وهو الفرع الذي يؤسسه حزب البعث في كل مدينة ومنطقة، وقال إنه يتمنى أن يكون مثل والده، بعثياً ومسئولاً في منظمة الحزب. لم أتحدث معه لاحقاً عن منظمة الحزب أو عن والده، فقد كان صديقاً عزيزاً (وأخلاقه كانت رفيعة)، واستمرت صداقتنا، وإن كانت بدرجة أخف من السابق.

(5)

ذكريات النجف كثيرة، و لقد كتبت الذكريات بشكل متناثر من دون تسلسل زمني؛ لأن الفكرة لم تكن لتسجيل ذكريات بتواريخ، وإنما استذكار جوانب مما كانت عليه مدينة النجف الأشرف في فترة مهمة كانت شهدت مجيء حزب البعث إلى الحكم في العام ١٩٦٨. ما قبل تلك السنة لا أتذكر الكثير، كل ما أتذكره أنّا كنا نعيش في منزل آخر في حي العمارة (قبل الانتقال إلى حي الحويش لاحقاً)، وكان المنزل الأول في عقد (تقاطع) أبو الطابو... كنت صغيراً حينها، والذكريات ضعيفة... ولكني أتذكر شكل المنزل وكان لدينا جار اسمه «أبومفيد» وهو الشيخ حميد الإحسائي. وذات مرة كنت أمشي مع الوالد وفقدت الوالد وضللت الطريق.

وأثناء المشي في الطريق العام رأيت شخصاً اعتقدت أنه جارنا آنذاك الشيخ حميد الاحسائي (أبومفيد)، فتوجهت اليه وأمسكت بيديه للمشي باتجاه منزلنا... وفعلاً، وصلت إلى المنزل وكان الوالد - رحمه الله - خائفاً على مصيري، وسألني أين كنت وكيف جئت، فقلت له إني رأيت أبومفيد ومشيت معه إلى المنزل. ولكن الوالد استفسر من أبومفيد، واتضح من الحديث معه أنه لم يكن الشخص الذي مشى معي حتى اقتربت من المنزل، وكان شخصاً آخرَ من أهل الخير.

عندما كنا في «عقد أبو الطابو» سكن معنا عمي محمد - أخو الوالد ويكبره بسنتين ربما - وكان نجاراً ماهراً ويعمل في «بابكو»، ولكن الشركة أقالته لأنه أصيب بمرض الصرع، وهذا أثر كثيراً على نفسيته، فدعاه الوالد إلى

السكن معه في النجف، وكان يقضي كثيراً من وقته في نجارة أبواب المنزل واحتياجاته، شريطة عدم وجودي بجنبه، إذ كان يصرخ عليّ كلما اقتربت من أدواته التي كان يعزها كثيراً.

عندما انتقلنا لاحقاً إلى عقد (تقاطع) السيد أبو الحسن في حي الحويش، كان الوالد أيضاً يجلب أحد أفراد الأسرة ليعيش معنا في هذه السنة أو تلك. وكانت جدتي (أم والدي) واسمها «طيبة» قد سكنت معنا مدة عام، وكانت طيبةً على اسمها، والوالد كان يحبها كثيراً ويلبي احتياجاتها. أيضاً سكنت معنا بنت عمي علي (مريم) مدة عام، ولكنها كانت تشتاق إلى البحرين كثيراً، وكانت بين الفترة والأخرى تقفل الباب لتبكي حسرةً على فراقها البحرين. وسكنت معنا خالتي (نجاح)، ودرست مدة عام واحد في مدرسة ابتدائية للبنات، مع أختي عفاف، وكانت المدرسة خاصةً وتديرها الشهيدة بنت الهدى، أخت الشهيد الإمام محمدباقر الصدر.

في عقد (تقاطع) أبو الحسن (في الحويش) أتذكر أكثر لأني أصبحت أكبر عمراً هناك... أتذكر أنه كان يأتي عصر كل يوم بائع الآيسكريم أبوسهيلة، ويوقف عربته وينادي بصوت جميل، ونذهب لنشتري منه الآيسكريم. وسألته كيف يصنع ذلك الآيسكريم اللذيذ الذي يسميه العراقيون «دوندرمه»، فأخبرني كيف أصنعه بأسلوب مصغر. قال لي: «خذ «قوطي» كبيراً، وضع داخله «قوطي» أصغرَ منه. املأ الفراغ بين القوطيين بالثلج، وضع ملحاً فوق الثلج كيلا يذوب بسرعة. وضع في القوطي الداخلي حليباً وسكراً وماء ورد مقطراً، ثم قم بإدارة القوطي الداخلي بسرعة حين تواصل (خوط) الحليب إلى أن يتحول إلى «دوندرمه»... هكذا كما أتذكر، ولقد جربتها آنذاك وتشكّل لي شيء يشبه «الدوندرمه»، ولكنه أبداً لم يكن مثل الذي كان

يصنعه ويبيعه أبوسهيلة، ولم أواصل هواية صناعة «الدوندرمه» لأنها بدت لي متعبة، وبعد كل الجهد ينتج شيء بالكاد يكون قابلاً للتذوق!

كانت إحدى العوائل التي تسكن بالقرب منا يسمونها عائلة أبو الشربت؛ لأنهم كانوا يصنعون الشربت (شيء يشبه شراب الكراش البرتقالي ولكن من دون غاز)... وكانوا يبيعونه في سوق الحويش. كانوا يملأون القناني بالشربت، ويغلقونها بالفلين (خشب مضغوط ومرن قليلاً)، ومن ثم يضعون القناني في حاوية مملوءة بالماء والثلج. يسحبون تلك الحاوية الى سوق الحويش ويبيعون الشربت البارد على المارة بالقرب من الجامع الهندي. وكنت بعض الأحيان أمشي معهم الى مكان البيع، وكانوا يمارسون المهنة كعائلة (الأخ الأكبر يأمر والأخ الأصغر ينفِّذ)... ومرة وصل الأخ الأصغر بالحاوية وعندما بدأ يبيع القناني اكتشف أن مغالق الفلين لم تكن محكمة ونقص مستوى الشربت منها... وبدا خائفاً من أخيه الأكبر، فما كان منه إلا أن قام بملئها بالماء المثلج الموجود بالحاوية (وهو غير نظيف لأنه يضع يده فيه ويسحب كل مرة قنينة عندما يبيعها على أحد المارة). رأيته يصنع ذلك، وقلت له: «كيف تفعل ذلك، فهذا غير صالح للشرب؟»... إلا أنه رد: «يابه شيوَدِّيني الحوش مره ثانيه هسه؟»... ومنها لم أشترِ منهم أي شربت... وبدلاً من ذلك كنت أشتري شربت «البلنكو»، وهو ماء وسكر وتوضع فيه حبيبات سوداء (تعتبر علاجاً طبيعياً)، وهذه الحبيبات يسميها البحرينيون «خاجة إبراهيم»... وكان سعر الكأس الكبيرة فلساً واحداً (نعم فَلس واحد فقط).

كان أحد جيراننا من بعيد يسمى أبوزهراء... ولكن الاطفال يركضون خلفه ويطلقون عليه لقب «الكحف»، بالكاف الفارسية... وهو كان (ربما)

معوقاً قليلاً من الناحية الذهنية، وكان يرد على الأطفال: «والحسين أمك زانية...».

وعلى ذكر الحسين (ع)، فإن النجف تتحول إلى شيء آخر أيام عاشوراء، وكنت اشترك في عزاء للصغار وكانت لدينا «تكية»، وهي مأتم صغير، وكنا نشارك في المواكب، وهناك عدة أنواع من المشاركات. وكنت اسمع حينها رداديات غريبة، وكنت معجباً ببعضها. من تلك الرداديات في العزاء (مع الاعتذار إلى الإخوة العراقيين، ولكني أذكرها للتاريخ)... من تلك الرداديات كان الصغار يقولون: «ليش كتلته (قتلته) يا نغل يا كوفي»، وترد عليهم مجموعة أخرى من الصغار: «احنا كتلناه (قتلناه) وباللطم نوفي».

وكنت أحياناً أزور بيت أبوكاظم، وهي عائلة فقيرة (وصديقة لعائلتنا) تسكن في أطراف النجف (في منطقة منخفضة قريبة من شط، تسمى الشوافع)، وكانت ام كاظم أمية وتطلب مني أن اقرأ لها من اللطميات التي كان يحتويها كتاب لمؤلفه، كما أعتقد، كاظم المنظور... وكانت هي تستمع لما أقرأه وتبكي مصاب الحسين (ع).

وفي إحدى السنوات، قررت الشرطة منع موكب «المشاعل» دخول حضرة الإمام علي (ع)، وهو موكب يحمل مشاعلَ ناريةً، وكان العراقيون «يدبكون» مع المشاعل النارية في ليلة التاسع داخل الحرم... وحدثت تظاهرة خطيرة - لما يوجد من أدوات قاتلة لدى المعزين - الذين تحدّوا الشرطة وبدأوا يهتفون: «دزوا خبر الكربلة (إلى كربلاء)، بالنجف صارت حادثة»... لم أشهد تلك الليلة العصيبة، ولكن سمعت أن المعزين أجبروا الشرطة على إعادة فتح أبواب الحضرة، وحينها هتفوا: «حيدر فتح بيبانه على عناد عدوانه».

حضرة الإمام علي (ع) هي المكان الذي أذهب إليه مع الوالد (وبعض الأحيان مع الوالدة) كل مساء لأداء صلاتي المغرب والعشاء. وقبل أن تدخل حضرة الإمام علي (ع) تعطي نعلك (أو حذاءك) لأحد الكيشوانية، والكيشواني/ الكاشواني هو الذي يحفظ النعل والأحذية أثناء دخول الزائر الحضرة. وعندما ندخل الحضرة، فالوالد عادة يصلي في المكان المكشوف، والوالدة في الداخل في المكان المخصص للنساء. وكنت أشارك الوالد في صلاته وفي أدعيته، ولكنه يطوّل كثيراً، فيتوافر لي وقت كثير للدوران داخل الحضرة. وهناك ترى كل مجموعة من الزوار يقودهم شخص يلبس طربوشاً (كشيدة) وهو متخصص في قراءة الزيارات مقابل أجر. وكنت أذهب مع هذه المجموعة أو تلك، وكانوا يقرأون دعاءً للسلام على النبي (ص) وجانب منه يقول: «السلام على البشير النذير، السراج المنير، الطهر الطاهر، البدر الزاهر، المنصور المؤيد...»، وكنت أفرح كلما سمعت اسم (المنصور) يردده أصحاب الصوت الجميل، ومرة قاطعت أحدهم في قراءة الزيارة وقلت له: «أنا بعد اسمي منصور»، فغضب لأني قاطعته (وهو يتقاضى أجره من مجموعة من الزوار مقابل ما يقوم به)، وقال: «يابه وخّر» (ابتعد من هنا).

قبل أن ينتهي الوالد من صلواته وأدعيته أكون قد وصلت إلى نهاية يومي، وكنت أرمي بنفسي بالقرب منه وأنام، وأحياناً أتظاهر بالنوم، فيضطر والدي إلى حملي على كتفه من الحضرة إلى المنزل... وفي حال كنت أتظاهر بالنوم، فإني استيقظ قبل أن يصل إلى المنزل، والوالد كان يقول لي: «أنا أدري انت ما كنت نايم».

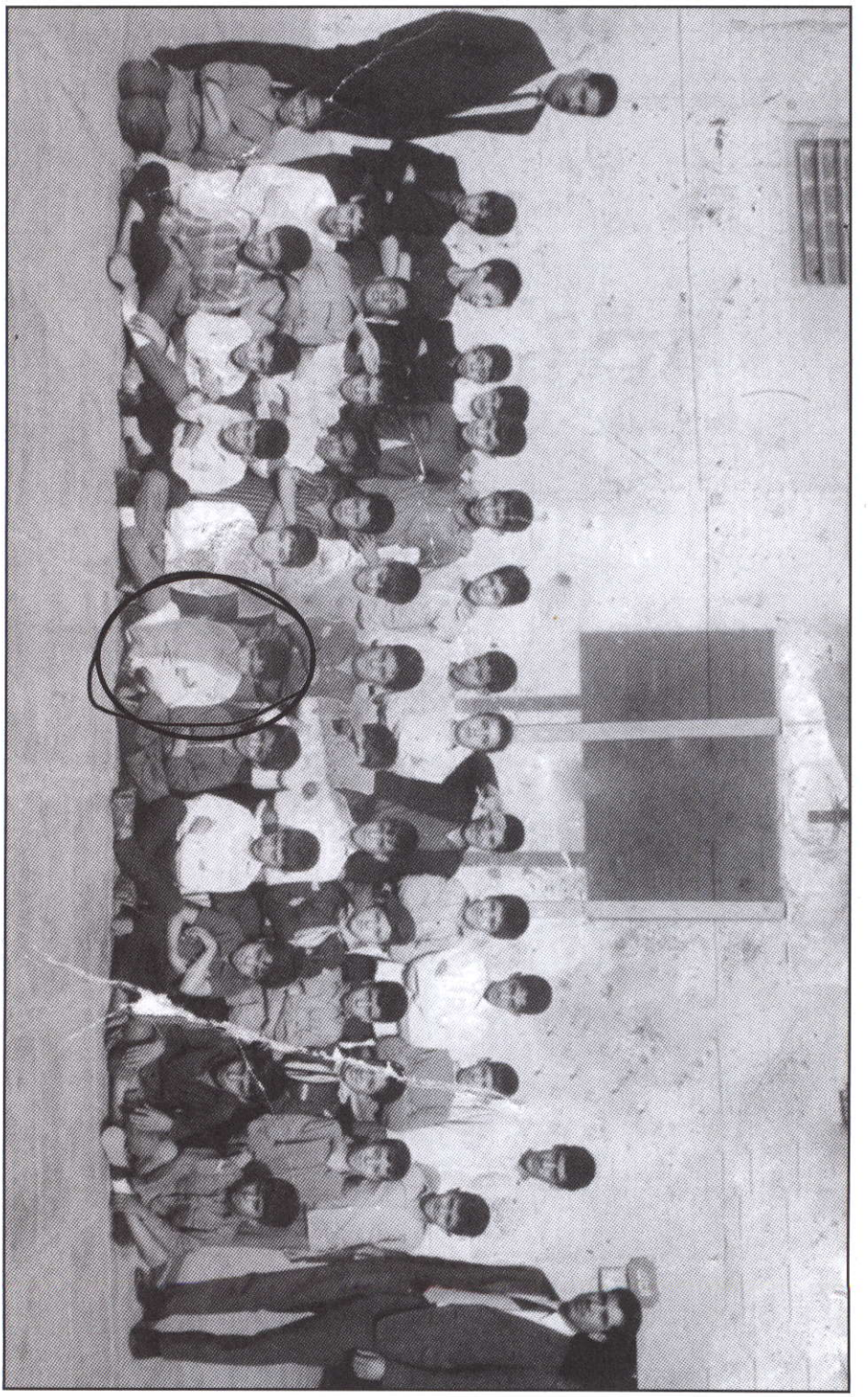

منصور في المدرسة الطالبية في النجف الأشرف العام 1971

حضرة الإمام علي (ع) كانت هي قطب الرحى، فالمرور بها أو حولها شأن يومي، وكنت عندما أعود من المدرسة أختصر بعض الأحيان المسافة وأدخل من بوابة سوق الكبير وأخرج من بوابة سوق الحويش... وعند بوابة سوق الكبير كان أحد الأشخاص (سمين الشكل) من الذين احتلوا منزلاً من منازل العراقيين الذين تم تهجيرهم لأنهم من أصل إيراني (العجم)... كان هذا الشخص يفترش قماشاً ويضع عليه أشياءً ويبيعها. وكنت أمر بالقرب منه وأردد «تبة سمينة، تمن وقيمة» (ومعناها أن بطنه سمين بسبب أكله الرز وطبخة اللحم «القيمة») وأهرب، وكان يصرخ: «ابن المومن البحراني، أكمشك والله أكمشك...».

وعلى ذكر القيمة، فإنها من الأطباق المفضلة لدى العراقيين، وهي لذيذة ولا تشبه القيمة في البحرين التي أخذناها من الطبق الهندي... فالقيمة العراقية تستخدم اللحم المدقوق بالهاون، ولها طعم خاص جداً... وكان بعض الأطفال يرددون نشيداً متكرراً: «دلونا دلونا عالقيمة دلونا، صار إلنا سبع سنين وإحنا جواعى وميتين، دلّونا دلّونا عالقيمة دلّونا» ولست أدري ما قصة هذا النشيد.

كنا (صغار السن في الحي) في منتصف شعبان نمرُّ على المنازل (مثل قرقاعون البحرين) وأحد الصغار يحمل «دنبركة» وهي الطبل العراقي اليدوي (مصنوع من الفخار وإحدى فتحاته مغلقة بغشاء من الجلد)... وكان يضرب على الطبل اليدوي على حين يقف الصغار حوله بالقرب من أبواب المنازل ويرددون: «الله يخلي هذا البيت»، وترد مجموعة أخرى: «آمين»، إلى أن يخرج صاحب المنزل ويوزع شيئاً على الصغار.

أتذكر أن اسم الشيخ أحمد الوائلي كان كما يعرفه الجميع، مرتفعاً في السماء، وتتوافد الناس من كل مكان للاستماع إليه إذا حل في مكان ما. وانتشر في يوم من الأيام أنه سيقرأ في أحد الأماكن في النجف، وقرر أخي محمدجميل استخدام «المسجلة» الجديدة التي جئنا بها من البحرين لتسجيل ذلك المجلس الحسيني للشيخ الوائلي... وكانت المسجلة تبدو متطورةً جداً بالنسبة إلى ما هو متوافر في العراق آنذاك. غير أن هناك مشكلة، وهي أن الوائلي يكره المسجلات ويمنع التسجيل آنذاك. وقلنا فلنذهب ونخفي المسجلة وندخل ونسجل، وتوجهنا إلى مكان القراءة، وعندما وصلنا وجدنا الشيخ الوائلي جالساً على كرسي عند الباب يراقب الداخلين، ولم يكن بالإمكان إدخال المسجلة.

وعليه ذهبنا إلى شبّاك جانبي، ووقفنا إلى جنبه ومددنا اللاقط للتسجيل عندما بدأ الوائلي القراءة. ولكن المارة بدأوا يتوقفون وينظرون إلى ما لدينا وكيف نسجل، وبعضهم كان يتبرع بصوته وأهازيجه كي تدخل ضمن التسجيل، وبعد فترة وجيزة اكتشفنا استحالة تسجيل الوائلي بهذا الأسلوب وعدنا إلى المنزل من دون إكمال الاستماع اليه أو تسجيله.

مرةً كنت في مجلس الوالد - رحمه الله - وكان يتحدث مع بعض علماء الدين البحارنة، وكانوا يتحدثون عن «الأخبار» و «الأصول»... وبعد أن انتهوا سألته: «ماذا يعني الأخبار والأصول؟ ومن هم الأخباريون؟ ومن هم الأصوليون؟»، فابتسم الوالد وقال: «شيعة البحرين أكثرهم أخباريون، وشيعة العراق أكثرهم أصوليون... بس هذا الكلام لاتردده في المدرسة، هذا فقط لطلبة العلم».

الزيارة التي قام بها المغفور له سمو أمير البلاد الراحل الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة للنجف مازالت محفورةً في ذهني. فقد زار النجف الأشرف قبل إجراء الاستفتاء على استقلال البحرين (الذي أشرفت عليه الأمم المتحدة وأجري في مارس/ آذار ١٩٧٠) ربما أن الزيارة كانت في العام ١٩٦٨ أو بعد ذلك بقليل. فقبل إجراء الاستفتاء للتعرف إلى رغبة البحرينيين في إذا ما كانوا يودون دولة عربية مستقلة أو الالتحاق بإيران، زار الأمير الراحل النجف الأشرف والتقى الإمام محسن الحكيم الذي كان له أثر كبير على المسلمين الشيعة في جميع أنحاء العالم. ولدى وصوله إلى النجف الأشرف قام أيضاً بزيارة حضرة الإمام علي (ع) وكنت مع زوج خالتي (ميرزا سعيد العرب) مع الذين وقفوا عند بوابة حضرة الإمام علي (ع) (المواجهة للسوق الكبير) ننتظر وصول الأمير. ولكن لصغري لم أستطع رؤيته فقام زوج خالتي برفعي على كتفه إلى الأعلى لرؤية الأمير وهو ينزع سلاحه الأبيض (الخنجر) قبل دخوله الحضرة وذلك احتراماً للإمام علي(ع).

بعد سنوات من تلك الزيارة عرفت تفاصيلَ أكثرَ عمّا دار بين الإمام الحكيم والأمير الراحل عندما التقيت ابنه السيدمهدي الحكيم في ثمانينات القرن الماضي في لندن قبل أن يتم اغتياله في الخرطوم في نهاية الثمانينات. فقد كان السيدمهدي يعيش في لندن آنذاك وفي أحد اللقاءات التي جمعتني معه قال لي إنه كان المرافق الرسمي للأمير الراحل أثناء زيارته وذكر تفاصيلَ عن اللقاءات والحوارات التي دارت آنذاك.

ومن تلك الحوارات ما نقله عن تأكيد الأمير مساواته البحرينيين بغض النظر عن مذهبهم، وأن حماية الشيعة وحقوقهم أمانة يتحمّلها، ودليل ذلك

- بحسب ما ذكره السيدمهدي - أن الحسينية التي كانت قد شُيِّدت في مدينة عيسى (كانت المدينة جديدة للتو) كانت على نفقة الأمير. كما أن السيدعلي كمال الدين الذي غادر البحرين في نهاية الخمسينات بعد اشتراكه في قيادة انتفاضة ١٩٥٤ - ١٩٥٦ استطاع العودة إلى البحرين بعد زيارة الأمير النجف. وقد رد الأمير الراحل الشكر للحكيم لاحقاً عندما أصبح السيدمهدي مطلوباً للسلطات العراقية؛ ما اضطره إلى الهروب خارج بلاده وزار البحرين واستُقبل بحفاوة، وبقي فترة وجيزة وبعدها غادر إلى الإمارات، وبقي فترةً أطولَ هناك، ومن ثم انتقل إلى باكستان، وفي مطلع الثمانينات انتقل إلى لندن، وتم اغتياله في نهاية الثمانينات أثناء زيارته الخرطوم لحضور مؤتمر.

أخبار مفرحة كانت في انتظارنا في العام ١٩٧٣. آنذاك كان جدي (من طرف والدتي) الملا عطية بن علي الجمري في النجف وألحّ على الوالد للرجوع للترشيح للمجلس الوطني. أما أنا فكان هذا أفضل خبر تسلمته على الإطلاق؛ فالبحرين بالنسبة إليّ «الحرية» و «الفرح الدائم».

بدأنا ضبط أغراضنا ما استطعنا وحزمنا الحقائب واتجهنا للسفر بالطائرة بدلاً من السفر بالبر والبحر الذي كان يعتبر مجازفة في كل مرة. ففي كل رحلة برية وبحرية نمر بتجارب بعضها مضحك وبضعها مخيف ومرعب. منزلنا في النجف بقي ملكاً للوالد ولكن لا نعرف عنه شيئاً الآن بعد كل ما حدث في العراق، ولا نعرف إن كان قد شمله «القص» وهي الخطة التي نفذها حزب البعث لتدمير حي العمارة، وأجزاء كبيرة من الأحياء الأخرى.

تركنا النجف في ١٩٧٣، بعد أحد عشر عاماً هي فترة دراسة الوالد، وأحمد الله كثيراً وأفرح كلما أتذكر خبر العودة إلى البحرين... إلى بني جمرة.

ذكريات النجف كثيرة، و لقد كتبت الذكريات بشكل متناثر من دون تسلسل زمني؛ لأن الفكرة لم تكن لتسجيل ذكريات بتواريخ، وإنما استذكار جوانب مما كانت عليه مدينة النجف الأشرف في فترة مهمة كانت شهدت مجيء حزب البعث إلى الحكم في العام ١٩٦٨.